

الأوضاع الاجتماعية للمغاربة بمصر المملوكية  
( 648 - 923 هـ / 1250 - 1517 م )

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات شهادة الماستر أكاديمي في شعبة التاريخ  
تخصص: تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

إشراف الأستاذ:  
د. سفيان قعيد

إعداد الطلبة:  
- مخلوفي عبد اللطيف  
- عماره اسماعيل

أمام اللجنة المكونة من الأساتذة:

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
زواري أحمد عبد الرؤوف	أستاذ محاضر (ب)	جامعة الوادي	رئيسا
سفيان قعيد	أستاذ محاضر (ب)	جامعة الوادي	مشرفا ومقررا
أسماء بن عماره	أستاذ محاضر (ب)	جامعة الوادي	عضوا ومناقشا

السنة الجامعية: 1445-1446 هـ / 2024-2025 م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



## إهداء

وصلت رحلتي الجامعية إلى مرحلة التخرج بعد تعب ومشقة..

أهدي بحث تخرجي لكل من كان له فضل في مسيرتي،

وساعدني ولو باليسير،

أمي، إخوتي و أخواتي، (وخاصة زوجتي و أولادي التي كانت طيلة فترة الدراسة على حساب وقتهم و قضاء

حوائجهم ) والأصدقاء، و زملاء الدراسة، والأساتذة المُبجّلين.

و إلى السيدين المحترمين: رئيس بلدية الطالب العربي السابق: دويم إبراهيم والحالي: دويم عمر (جعفر)

و كل الزملاء الموظفين

إسماعيل

إلى التي سهرت الليالي من أجلي

أمي العزيزة حفظها الله و أطال عمرها

إلى والدي صاحب القلب الذاكر و اللسان الشاكر

طول الله في عمره و رزقه الصحة و العافية

إلى أساتذتي الكرام و الإخوان و الأخوات العزيزات و الأصدقاء الطيبين .

و إلى كل من ساهم في بحثنا و لو بكلمة

أهدي " أول ثمرة جهدي العلمي "

عبد اللطيف

## شكر و عرفان

قال تعالى: { ... لئن شكرتم لأزيدنكم } (سورة إبراهيم الآية 07)

نشكر الله عز و جل الذي وفقنا لانجاز هذا العمل

و من لم يشكر الناس لم يشكر الله

نتقدم بجزيل و خالص الشكر و التقدير إلى أستاذنا المشرف الدكتور سفيان قعيد الذي كان

نعم المشرف و لم يبخل علينا بتوجيهاته و نصائحه القيمة .

كما لا يفوتنا التوجه بالشكر إلى أعضاء لجنة المناقشة كل باسمه و مقامه.

قائمة المختصرات:

المصطلح	الإختصار
ميلادي	م
هجري	هـ
تحقيق	تح
جزء	ج
ترجمة	تر
إشراف	إش
دون طبعة	د.ط
دون دار نشر	د.د.ن
دون سنة	د.س
دون بلد	د.ب
عدد	ع
صفحة	ص
مجلد	مج
قسم	ق
توفي	ت
صفحتان متتاليتان	ص-ص
صفحات متتابعة	ص،ص

مقدمة

عرفت بلاد مصر والغرب الإسلامي صلات وروابط بينهما ممتدة منذ أقدم العصور، كما شكّلت مصر امتداداً طبيعياً وعضوياً لبلاد الغرب الإسلامي والعكس، فكان التواجد المغربي بمصر خلال الفترة الوسيطة دليلاً على الروابط القوية بين الطرفين، هذا التواجد لقي كل الترحاب والتقدير، مكن للفرد المغربي من ممارسة حياته ومختلف نشاطاته بكل حرية ومنها الجوانب الاجتماعية.

وبما أنّ جُل الدراسات الحديثة تتجه نحو التاريخ الاجتماعي بدل السياسي، اخترنا أن يكون بحثنا المغاربة بمصر المملوكية من الجانب الاجتماعي لما له من أهمية وجدوية البحث فيه، فجاء عنوان بحثنا كالتالي:

### الاضلاع الاجتماعية للمغاربة في مصر خلال العهد المملوكي ( 648-923 هـ/ 1250-1517 م )

#### أهمية الموضوع

يكتسي موضوع الحياة الاجتماعية للمغاربة بمصر عهد سلاطين المماليك أهمية بالغة من عدة وجوه أهمها؛ بيان فضل ومزية مصر المملوكية في استقبال واحتضان وإفادي الغرب الإسلامي، وما وفرته وقدمته من خدمات لهم من جهة، ومن جهة ثانية معرفة عادات وتقاليد الوافد المغربي على محل جديد، ومجتمع مختلف عنه، وكيف كانت معيشتهم، أمّا الوجه الثالث وهو الأهم فإنّ هذه العادات والتقاليد التي عرفها المغاربة حينها مازالت بعض جذورها إلى اليوم، وبالتالي عند دراستها وإبرازها نشرٌ لحضارتنا وتراثنا نحن المغاربة عموماً ووطننا المغرب الأوسط خصوصاً.

#### دوافع اختيار الموضوع

إنّ الدوافع للبحث في الموضوع هو: تناؤل معظم الدراسات السابقة للمغاربة بمصر عن الجانب السياسي والثقافي دون الجانب الاجتماعي الذي قل البحث فيه، لذا أردنا تسليط الضوء على أهم مظاهر الحياة الاجتماعية وإظهار قوة شخصية الفرد المغربي في التمسك بعاداته وتقاليدته الاجتماعية في محل إقامة جديد، إضافة إلى أنّ معظم الدراسات البحثية الحديثة تتجه نحو الجانب الاجتماعي ودراسة تاريخ الذهنيات.

## إشكالية البحث

توافد المغاربة على مصر المملوكية فشكّلوا جزءاً من النسيج الاجتماعي للمجتمع المصري، مشاركين في مختلف مناحي وجوانب الحياة المصرية العامة، وفي هذا السياق جاء بحثنا المعنون بـ: الأوضاع الاجتماعية للمغاربة بمصر المملوكية ( 648-923 هـ/1250-1517 م) ضمن دراسة تاريخية الغاية منها معرفة درجة المحافظة على الأصالة والخصوصيات الاجتماعية للشعوب، ومدى الارتباط بالعادات والتقاليد، هذا ما يفتح لنا المجال لطرح إشكالية رئيسية تتمحور حول الأوضاع الاجتماعية للمغاربة الوافدين والمستقرين بمصر خلال عصر سلاطين المماليك، وهذه الإشكالية الرئيسية تثير أسئلة فرعية تدرج تحتها تتمثل في:

- ما هي أسباب وعوامل تواجد المغاربة بمصر المملوكية؟
- كيف كان توزيعهم الجغرافي وما أنواع إقامتهم؟
- فيما تجلّت عاداتهم وتقاليدهم وما هي أهم فئاتهم؟
- كيف كانت مكانتهم الاجتماعية في الوسط المصري؟

## خطة البحث

للإجابة على الإشكالات المطروح والتساؤلات الفرعية وما تقتضيه طبيعة البحث، قسّمنا خطتنا إلى مقدمة ومدخل تمهيدي وثلاثة فصول وخاتمة .

حيث جاء المدخل التمهيدي بعنوان: الدولة المملوكية بمصر تعرضنا فيه إلى التعريف بالمماليك وأصلهم وطرق جلبهم، ثم نشأة الدولة وقيامها سنة 648 هـ/1250 م، لنختم بأطوارها، وأهم سلاطينها وأمرائها ثم نهايتها وسقوطها سنة 923 هـ/1571 م.

ليأتي الفصل الأول بعنوان المغاربة وأسباب تواجدهم بمصر المملوكية، تناولنا فيه ضبط مصطلح المغاربة من حيث المدلول والتسمية، فتتبعنا في كتب التاريخ والتراجم، لنجد أنه مرتبط بعموم الغرب الإسلامي بما فيه الأندلس، مع البحث في أسباب التواجد المغاربي بمصر المملوكية، فوجدناها قسمين؛ عوامل طاردة متعلقة بأوضاع الغرب الإسلامي من اضطرابات سياسية وغيرها، وعوامل إيجابية مرتبطة بأوضاع مصر عهد سلاطين المماليك من

استقرار سياسي، ونشاط اقتصادي وازدهار علمي، مع ما للحجج من دافع ديني قوي في ذلك، فحاولنا إخضاع هذه العوامل للأحوال التي يمر بها المشرق والمغرب في فترة الدراسة.

أما **الفصل الثاني** فقد جاء متمماً للفصل الأول بعنوان: المغاربة أصولهم وأماكن استقرارهم بمصر المملوكية، متضمناً ثلاثة مباحث، الأول ترصدنا فيه أماكن تواجد واستقرار المغاربة بمصر خلال فترة البحث، فاستوطنوا المدن والحواضر كما انتشروا في الأرياف والبادي، في حين جاء المبحث الثاني مبيناً أصولهم وأهم ألقابهم التي أرجعتهم إلى الأقاليم التي قدموا منها، والقبائل المنتمين إليها، بالمغرب الأدنى، المغرب الأوسط، المغرب الأقصى، والأندلس، لنعرض في المبحث الثالث أنواع إقامتهم وربط تلك الإقامة بالأغراض المختلفة، فكانت بين الدائمة أو المؤقتة فحاولنا بيانها في شكل جدول من خلال أمثلة لشخصيات.

**الفصل الثالث** عنوانه ب: الحياة الاجتماعية للمغاربة بمصر المملوكية، قمنا فيه بعرض مظاهر الحياة الاجتماعية للفرد المغاربي بمصر المملوكية من خلال ثلاث مباحث، الأول تطرقنا في لفئاتهم وطبقاتهم حيث انقسمت إلى أربع فئات فكان منهم العلماء والفقهاء والقضاة وأصحاب الخطط الدارية، كما مثلت فئة التجار والحرفيين من أهم الطبقات إضافة للصوفية والزهاد، ليأتي المبحث الثاني موضحاً الحياة الأسرية والعادات والتقاليد للفرد المغاربي من خلال الزواج وأهم الزيجات ثم الأطعمة والأشربة التي تميز بها المغاربة، وأيضاً اللباس وأنواعه، ليتوج المبحث الثالث المغاربة بتميز مكانتهم في مصر المملوكية لدى السلاطين والأمراء والعلماء بالإضافة لعامة أهل مصر، لنختتم المبحث الثالث بمطلب رابع تمثل في مشيخة المغاربة بمصر المملوكية، لما لهذا المنصب من رفعة وقيمة.

وقد جاءت الخاتمة موضحة لأهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال بحثنا، ثم أعقبناها بملاحق لإيضاح الموضوع.

### المنهج المتبع

وقد اعتمدنا في دراستنا على المنهج التاريخي باستقصاء المادة العلمية من مختلف النصوص التاريخية، لما يتناسب وطبيعة الموضوع، مع توظيف المنهج الوصفي لوصف المظاهر الاجتماعية من لباس وطعام وغيرها، في حين استخدمنا المنهج الإحصائي في حدود الشخصيات المذكورة في الدراسة؛ بإحصاء المغاربة المقيمين بمصر وألقابهم وأصولهم إضافة إلى أماكن استقرارهم وفئاتهم في المجتمع المصري، مُحوّلينها إلى أرقام قابلة للتحليل.

## عرض المصادر و المراجع

معتمدين في دراستنا على العديد من المصادر والمراجع والرسائل والأطاريح والمقالات العلمية نعرض منها نماذج حسب حجم استعمالها في البحث:

## المصادر

## كتب التاريخ العام

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لأبي المحاسن جمال الدين ابن تغري بردي ( ت 874 هـ / 1469م)، المؤرخ الذي عاصر الفترة الأخيرة من حكم المماليك، وكان شاهدا على أحداثها، وعائِن لحظة سقوطها فكان أبوه أحد الوجوه السياسية، مما جعله يطلع على الأحداث عن كثب، فحوت مادته العلمية جوانب متنوعة، فاستفدنا منه في التعريف بدولة المماليك في المدخل التمهيدي وأصول وألقاب المغاربة في الفصل الثاني، وكذا بعض المظاهر الاجتماعية المتمثلة في اللباس، كما استفدنا منه عن مدى مكانة المغاربة بمصر خلال فترة البحث.
- بدائع الزهور في وقائع الدهور لأبي البركات محمد بن احمد بن اياس ( ت 930 هـ / 1524 م ) الذي يُعتبر من مؤرخي الدولة المملوكية ومعاصريها، فسجل أحداثها عن قرب، وهو مصدر أولي، لذا جاءت معلوماته متنوعة وثرية، فأفادنا في البحث في التأريخ لأحداث الدولة المملوكية والتوزيع الجغرافي للمغاربة والتعريف ببعض شخصيات البحث .
- السلوك لمعرفة دول الملوك لتقي الدين أبو العباس احمد بن علي المقرئ (ت 845 هـ / 1442 م ) يُعدّ مصدرا مهما في تاريخ الدولة المملوكية، تنوعت مادته العلمية في مختلف مجالات الحياة، فجاءت الاستفادة منه في مواضع كثيرة من البحث من تأريخ الدولة المملوكية إلى عوامل وأسباب تواجد المغاربة بمصر، ومظاهر حياتهم الاجتماعية وكذا مكانتهم الاجتماعية .

## كتب التراجم و السير و الطبقات

- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع لشمس الدين محمد بن عبد الرحمان ابن أبي بكر بن عثمان السخاوي ( ت 902 هـ / 1500 م) من خلال تراجمه استفدنا منه معلومات عن شخصيات مغربية من

- علماء وفقهاء وقضاة ومتصوفة، وفدوا مصرًا وعاشوا خلال القرن التاسع الميلادي وهي فترة بحثنا تَبَوَّؤُوا مكانة مرموقة، حملت تلك المعلومات إشارات عن مختلف مظاهر حياتهم الاجتماعية .
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لشهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ( ت 853 هـ/1449 م)، يعد الكتاب من أهم كتب التراجم، الذي يخدمُ بحثنا من حيث الإطار الزمني والمكاني فاستفدنا منه في معلومات تخصّ المغاربة المستقرين بمصر، على اختلاف طبقاتهم وفتاتهم .

### كتب الجغرافيين و الرحالة

- معجم البلدان لصاحبه شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي (ت 626هـ/ 1229م) ويعتبر من المصادر التي لا يستغني عنها الباحث في معرفة المدن والقرى والحواضر، حيث استفدنا منه بتعريفات عن المناطق تثري البحث .
- تحفة النظر في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار لأبي عبد الله محمد بن عبد الله ابن إبراهيم اللواتي المشهور بـ: ابن بطوطة ( ت 779 هـ/ 1377 م )، وقد زار مدن كثيرة منها مصر خلال فترة البحث فوصفها وصفا دقيقا؛ شاملا، فاستفدنا منه في مناطق استقرار المغاربة وعوامل ذلك .

### - المراجع:

- المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك لـ: سعيد عبد الفتاح عاشور والذي يُعتبر كتابا قيّما في المجال الاجتماعي لمصر عصر سلاطين المماليك، ولا يمكن لدارس إهمال دراسات عبد الفتاح عاشور السوسولوجية إذا أراد البحث في الجانب الاجتماعي .
- الأندلسيين والمغاربة في بلاد الشام من القرن 5 هـ إلى نهاية القرن 9 هـ، لـ: علي أحمد وهو مرجع يبحث عن مختلف جوانب حياة المغاربة بالشرق، فكانت استفادتنا منه في عوامل التواجد، حيث أسهب فيها إسهابا عميقا، موضحا الأسباب والدوافع.
- المغاربة في البلاد المصرية ( ق 4-9 هـ/ 10-15 م) لـ: عاشور منصورية، مذكرة دكتوراه قيمة وثرية بمعلومات عن حياة المغاربة بمصر، تناولت عوامل وأسباب انتقال المغاربة لمصر المملوكية، وأهم إسهاماتهم السياسية والفكرية ونشاطاتهم الاقتصادية؛ الزراعية والتجارية، ومناطق استقرارهم وأنواع إقامتهم، استفدنا منها في ضبط مصطلح المغاربة، عوامل وأسباب التواجد بالإضافة لأماكن الاستقرار وأنواع الإقامة.

- إسهامات المغاربة والأندلسيين في مصر وبلاد الشام من بداية القرن السادس إلى نهاية القرن التاسع الهجري (12-15 م) ل: الحاج عيفة، وهي مذكرة دكتوراه تناولت مختلف إسهامات المغاربة السياسية والعلمية والاقتصادية في مصر والشام عصر سلاطين المماليك، استفدنا منه في عوامل الانتقال بالإضافة لدراسة الفئات والطبقات من العلماء والتجار خاصة.

### الدراسات السابقة

من الدراسات السابقة التي اطلعنا عليها: المغاربة في البلاد المصرية (ق 4-9 هـ / 10-15 م) ل: عاشور منصورية، مذكرة دكتوراه تناولت الحياة العامة للمغاربة بمصر، بدءاً من عوامل وأسباب التواجد، مُركّزاً على الجانب السياسي والعسكري والإداري، ثم الحياة الفكرية والثقافية، في حين لم يَخَصَّ للجانب الاجتماعي سوى أربع صفحات (253-256)، بالتالي افتقدت الدراسة للأوضاع الاجتماعية، في حين قدّم معلومات مميزة عن أماكن الاستقرار وأصولهم وألقابهم.

### صعوبات البحث

لا يخلو أيّ بحث أو عمل أكاديمي من عراقيل تعترض الباحث، إلاّ أنّه عليه تخطيطها ومواجهتها ومن الصعوبات التي واجهتنا: أن بحثنا في الجانب الاجتماعي وكما هو معروف لا توجد مصادر تُختصّ بهذا الجانب، فاضطررنا للبحث في ثنايا كتب التاريخ العام والتراجم والسير والطبقات وغيرها لإخراج مادة علمية- غالباً ما كانت متشابهة- عن الحياة الاجتماعية للمغاربة بمصر المملوكية، إضافة إلى أنّ بعض الدراسات عن الموضوع غير منشورة ومتاحة، وبما أنّ الموضوع غير مدروس من قبل على حد علمنا وجدنا صعوبة في جمع مادته وحبك خطته والتنسيق بين عناصره .

وفي الأخير لا يفوتنا أن نتقدّم بالشكر الجزيل للأستاذ المشرف الذي لم ييخل علينا بتوجيهاته وتصويبه لأخطائنا، كما استفدنا منه في ضرورة الاطلاع على بعض المصادر والمراجع التي غفلنا عنها، من أجل إخراج المذكرة في حلة علمية مفيدة، كما نرجو أن نكون قد أسهمنا في الموضوع ولو باليسير.

مدخل تمهيدي:

الدولة المملوكية بمصر

(648 – 923 هـ / 1250 – 1517 م)

المبحث الأول: تعريف المماليك: ( أصلهم، طرق جلبهم، لغتهم )

المبحث الثاني: نشأة دولة المماليك

المبحث الثالث: دولتا المماليك

شهدت مصر خلال الفترة الوسيطية العديد من الدول التي تعاقبت على حكمها، من بينها دولة المماليك والتي يُعتبر تاريخها قليل الاطلاع والبحث عند معظم النخبة من المسلمين، فضلا عن عامتهم، وذلك يعود للظروف التي مرَّ بها العالم الإسلامي في تلك الفترة؛ من تعدد الإمارات والدويلات في أكثر من مكان، وبالتالي يتطلب ذلك دراسة شاملة لمتابعة الأحوال في العديد من تلك الأقطار الإسلامية، بالإضافة لكثرة الولاة والسلطين في العصر المملوكي مع قصر مدة الحكم، ففي مرحلة المماليك البحرية التي دامت 144 سنة تعاقب على الحكم 29 سلطانا، متوسط حكم السلطان لم يتجاوز الخمس سنوات.<sup>1</sup>

ومع ذلك فقد تبوّأت دولة المماليك مكانة بارزة وهامة ليس في تاريخ مصر فحسب بل في تاريخ العالم الإسلامي عامة، بفضل إنجازاتها الخارجية من التصدي لأكبر قوتين هددتا صرح الإسلام وقتها: الصليبيين والتتار والداخلية من ازدهار في مختلف مجالات الحياة السياسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية.<sup>2</sup>

ولمعرفة دولة المماليك نعطي لمحة تاريخية عنها.

**المبحث الأول: تعريف المماليك: ( أصلهم، طرق جلبهم، لغتهم )**

### 1- التعريف بالمماليك:

المملوك وجمعه ممالك، وهو اسم مشتق من الفعل مَلَكَ ويُقال عبد مملكه بفتح اللام وضمها إذا سُبي ومُلك دون أبويه،<sup>3</sup> والعبد هو الذي لا يملك حرية نفسه،<sup>4</sup> وقد ورد هذا المعنى في القرآن الكريم، منها قوله تعالى ﴿والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت إيمانهم فإنهم غير ملومين﴾<sup>5</sup>، وجاء في تفسير معنى قوله تعالى ملكت إيمانهم أي: العبيد والإماء.<sup>6</sup>

<sup>1</sup> - إيناس حسني البهجي، دولة المماليك البداية و النهاية، دار التعليم الجامعي، ط1، الإسكندرية، 2015، ص 05.

<sup>2</sup> - فايد حماد محمد عاشور، الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين والمغول في العصر المملوكي، جروس برس، ط1، طرابلس، لبنان، 1995، ص 55.

<sup>3</sup> - محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي (ت 711هـ)، لسان العرب، دار الصادر، د.ط، بيروت، 2010، ج10، ص 493.

<sup>4</sup> - عطية القوصي، موسوعة الثقافة التاريخية والأثرية والحضارية التاريخ الإسلامي، التطور التاريخي للدولة الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، 2008، مج 5، ص 3.

<sup>5</sup> - سورة المعارج، الآية 29 .

<sup>6</sup> - محمد بن جرير الطبري ( ت: 310 هـ)، جامع البيان عن تأويل القرآن، تح: صدقي جميل العطار، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 1995، ج18، ص 6.

وقد وردت بعدة عبارات في القرآن الكريم منها: ﴿ملكتم أيمانهم﴾، ﴿ملكتم يمينكم﴾<sup>1</sup>.

كما جاء في القاموس المحيط للفيروز أبادي بمعنى "القطين" بفتح القاف وهم الإماء، أي: الحشم والخدم والأتباع<sup>2</sup> ولكن هذا اللفظ لم يبقى على معناه اللغوي، بل اكتسب معنى اصطلاحيا في التاريخ الإسلامي، فأطلق على جموع الرقيق الأبيض الذين كانوا يُأسرون نتيجة الحروب أو الشراء من سوق النخاسة عن طريق التجار الذين يجلبونهم إلى البلاد الإسلامية.<sup>3</sup>

## 2- أصول المماليك و لغتهم

ترجع أصولهم المماليك إلى الأتراك أو المغول أو الجراكسة<sup>4</sup> وغيرهم من الأجناس، وكانوا يُجلبون من إقليم القبچاق<sup>5</sup> - في الجنوب الشرقي من روسيا الحالية - لما تميزوا به من حسن طلعتهم، وجمال أشكالهم، وقوة بأسهم، بأسهم، وشجاعتهم النادرة، كما كانوا يُجلبون أيضا من بلاد ما وراء النهر، أي نهر خيخون خاصة الترك منهم من سمرقند، خوارزم.<sup>6</sup>

<sup>1</sup> - أنظر: سورة النساء، الآيات: 3- 24 - 25- 36، سورة النحل الآية: 71، سورة النور الآيات: 31 - 33 - 58، سورة الروم 28 و سورة الأحزاب الآية 50.

<sup>2</sup> - محي الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي ( ت: 817 هـ)، القاموس المحيط، تح: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط8، د.ب، 2005، ص 1225.

<sup>3</sup> - فايد حماد محمد عاشور، مرجع سابق، ص 55.

<sup>4</sup> - الجراكسة: شعب نشأ في أراضي القوقاز من بلاد روسيا الحالية، تعرضت أراضيهم للغزو المغولي في القرن السابع هجري، الثالث عشر ميلادي، مما جعل تجار الرقيق يغتنمون ذلك باقتناء أحسنهم وأجملهم صورة، وبيعهم في أسواق النخاسة، ينظر: عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي، (ت 1049 هـ/ 1639م)، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1998، ج4، ص 31.

<sup>5</sup> - القبچاق أو القفجاق: إقليم في الجنوب الشرقي من روسيا الحالية، ويشمل حوض الفلجا والأراضي الواقعة حول بحر قزوين وشمال البحر الأسود، وأصلها من الترك، اشتهر أهلها بالبداءة والفروسية، وتعد بلاد القفجاق مصدر للتجار لجلب الرقيق الأبيض، ينظر: أبو العباس أحمد ابن علي القلقشندي ( ت 821 هـ/ 1418م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، دار الكتب المصرية، ط1 القاهرة، د.ت، ج4، ص، ص 456، 458، أبو العباس تقي الدين أحمد بن علي المقرئزي، (ت 845 هـ)، السلوك لمعرفة دول الملوك، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، 1997، ج1، ص 663.

<sup>6</sup> - قاسم عبده قاسم، عصر سلاطين المماليك التاريخي السياسي و الاجتماعي، عين للدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية، د ب ، 2012، ص 08.

كما كان الترك في تلك البلاد يبيعون أبنائهم لما سمعوا بما يعيشه العالم الإسلامي وخاصة مصر من رخاء و ثراء اقتصادي، مقابل ما يعيشونه هم من فقر شديد، وضرائب أثقلت كاهلهم، كما كانت آسيا الصغرى تحوي أعدادا هائلة من الرقيق الألبان والصرب، فكان الأتراك يُرسلون ما لديهم من أسرى لبيعهم لأمرء الشام ومصر سواء أمرء الدولة الطولونية أو الإخشيدية أو الفاطمية خاصة عهد الدولة الأيوبية التي بعدها أسسوا دولتهم.<sup>1</sup>

نشطت حركة جلب الرقيق من طرف التجار المسلمين والأوربيين على حد سواء - جنوة والبندقية وكان الرقيق من الأرمن وجورجيا - فكان الأوربيون يجلبون لمصر حوالي ألفين كل سنة، فكان هؤلاء التجار يُحضون بمكانة مرموقة لدى السلاطين.<sup>2</sup>

أما مصادر الرقيق فقد تنوعت منها الشراء والأسر في ميادين القتال، كما كانت على شكل ضريبة أو جزية يدفعها حكام الولايات - منح وهدايا يتبادلها العظماء والمُترفون - وقد تكون عن طريق السرقة أو الاختطاف.<sup>3</sup>

أما بالنسبة للغة المماليك فقد كانوا يعتمدون على اللغة التركية، وهي لغة مملوءة بالفارسية والعربية ومع مرور الزمن أصبحوا يتقنون اللغة العربية حتى أن منهم من ضلعوا فيها بلسان فصيح.<sup>4</sup>

### 3- المماليك في الدولة الإسلامية

من أوائل من اعتمد على المماليك الخلفاء العباسيون، وخاصة في عهد المأمون الذي عمل على جلبهم والإكثار منهم، لتقوية نفوذه وسلطانه، ثم انتشر استعمالهم في مختلف الأقطار الإسلامية، فضعف الدولة العباسية من جهة ورغبة حكام الولايات والإمارات بالاستقلال من جهة أخرى أدى إلى الاعتماد على ما يشترونه من مماليك في توطين جيوشهم لتحقيق مطامعهم.<sup>5</sup>

<sup>1</sup> - أحمد مختار العبادي، قيام دولة المماليك الأولى في مصر و الشام، دار النهضة العربية، ط1، بيروت 1986، ص 16 .

<sup>2</sup> - إيناس حسني البهجي، مرجع سابق، ص 47.

<sup>3</sup> - أحمد مختار العبادي، قيام دولة المماليك، المرجع السابق، ص 16 .

<sup>4</sup> - إيناس حسني البهجي، المرجع السابق، ص 47.

<sup>5</sup> - سعيد عبد الفتاح عاشور، العصر المماليكي بمصر والشام، دار النهضة العربية، ط 2، القاهرة، مصر، 1976، ص 6.

ففي مصر أكثر الحكام في استخدام المماليك، بداية من الدولة الطولونية حيث بلغ ممالك أحمد بن طولون (254 - 270 هـ / 868 - 892 م) <sup>1</sup> أربعة وعشرين ألف، <sup>2</sup> وهم أول من جلب المماليك لمصر، وفي ذلك يقول القلقشندي في كتابه صبح الأعشى ( وأولهم أحمد بن طولون، سنة 266 هـ.... وهو أول من جلب المماليك للديار المصرية، واستخدمهم في عسكرها ) <sup>3</sup> وعندما سقطت زالت الدولة الطولونية وقامت الدولة الإخشيدية (323 - 358 هـ / 935 - 969 م) اعتمدت على المماليك من الترك والديلم، فبلغ ممالك محمد بن طغج الإخشيدية <sup>4</sup> ثمانية آلاف مملوك، <sup>5</sup> ونحى نحوهم أواخر خلفاء الفاطميين منذ عهد المستنصر بالله، فاعتمدوا على المماليك الترك وغيرهم، لتأتي بعدها الدولة الأيوبية فاتحة صفحة جديدة في تاريخ مصر والمماليك. <sup>6</sup>

## المبحث الثاني: نشأة دولة المماليك

### 1- نهايات الدولة الأيوبية

عرفت الدولة الأيوبية في آخر عهدها ضعفا وحالة من التشرذم السياسي والعسكري بين ملوك الأيوبيين الأواخر، ففشلوا في استكمال الدور الذي من أجله أسس صلاح الدين الأيوبي دولتهم وهو التصدي للحملات الصليبية والدفاع عن حياض المسلمين من خطر الفرنجة، <sup>7</sup> بالمقابل تجلّى دور المماليك وخاصة في منتصف القرن الثالث

1 - أحمد بن طولون: هو الأمير أبو العباس التركي، وُلِّي مصر في رمضان سنة 254 هـ وعمره 34 سنة، ولد أحمد في سامراء سنة 220 هـ، وقيل إن طولون تبناه حفظ أحمد القرآن و أتقنه، بني جامعة مشهورة باسمه سنة 259 هـ توفي 270 هـ، ينظر: أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (701 - 774 هـ)، البداية و النهاية، مكتبة الصفاء، دار البيان الحديثة، ط1، القاهرة، 2003، ج11، ص-ص 49-50، أبو المحاسن جمال الدين ابن تغري بردي يوسف الأتابكي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر و القاهرة، ج3، الهيئة المصرية العامة للتأليف و النشر، د.ط، مصر، 1970، ص، ص 1، 8.

<sup>2</sup> - محمد بن أحمد ابن إياس الحنفي (930 هـ / 1523 م)، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تح: محمد مصطفى، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، ط1 بيروت، لبنان، 1975، ج1، ص 37.

<sup>3</sup> - القلقشندي، مصدر سابق، ج3، ص 424.

<sup>4</sup> - طغج الإخشيدية: هو محمد بن طغج بن جف بن بلتكين الفرغاني التركي، مؤسس الدولة الاخشيدية، ولد 268 هـ ببغداد، توفي 334 هـ بدمشق، ينظر: ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج3، ص 251، 256، ابن كثير، المصدر السابق، ج11، ص 226 .

<sup>5</sup> - ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج3، ص 256، 259.

<sup>6</sup> - أحمد مختار العبادي، قيام دولة المماليك الأولى في مصر و الشام، مرجع سابق، ص 73 .

<sup>7</sup> - إيناس حسني البهجي، مرجع سابق، ص 67.

عشر الميلادي في عهد السلطان الصالح نجم الدين أيوب<sup>1</sup> فأكثر من شراء المماليك، وعني بهم عناية فائقة مكنت من ازدياد نفوذهم في الدولة، فكان أكثر أمراء العسكر من المماليك<sup>2</sup> فتعود أصولهم لأجناس مختلفة من الأتراك والمغول والصقالبة والألمان والأسبان واليونان والجراكسة، وغيرهم، غير أنّ أغليبتهم في الدولة المملوكية الأولى كانوا من بلاد القفجاق، والقوقاز، بينما كانوا من الأتراك الجراكسة في الدولة المملوكية الثانية.<sup>3</sup>

كما تميزت فترة حكم الصالح نجم الدين أيوب بعدة أحداث وصراعات؛ ففي الشرق كانت قوات المغول تقترب من العاصمة العباسية بغداد، وفي الغرب الإسلامي كانت الأندلس تتعرض لحركات استرداد شرسة تشنها الممالك النصرانية في شبه الجزيرة الأيبيرية، في حين كان أمراء الشام من الأيوبيين على تحالف مع الفرنجة ضد نجم الدين أيوب، ولكن الصالح نجم الدين نجح هو وجيشه من الخوارزمية والمماليك من ضم الشام لمصر وتحرير بيت المقدس من الفرنجة، وتدمير الجيوش المتحالفة وذلك سنة (641 هـ/1244م)<sup>4</sup>.

في خضم هذه الأحداث تحركت حملة صليبية بقيادة ملك فرنسا لويس التاسع سنة (647 هـ/1249م) باتجاه مصر فاستولوا على دمياط،<sup>5</sup> وعندها توجه الصالح نجم الدين بجيشه الذي يقوده فرسان المماليك لملاقاة لويس التاسع ووقعت بين الطرفين معركة حاسمة هي معركة المنصورة، توفي خلالها السلطان نجم الدين (647 هـ/1249م)، اخفت شجرة الدر خبر<sup>6</sup> وفاة زوجها الملك الصالح نجم الدين، وأرسلت لولده تورا نشاه<sup>1</sup> من حصن كيفا.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> -نجم الدين أيوب: هو أيوب بن محمد بن أبي بكر بن أيوب، الملك الصالح أبو الفتح بن الكامل بن العادل، ولد بالقاهرة سنة 603 هـ، ونشأ بها تولى حكم مصر في العاشر من شوال سنة 638 هـ/ 1248 م، بفضل المماليك الكاملية، توفي ليلة الاثنين: 15 شعبان 648 هـ / 1249 م ينظر: ابن اياس، مصدر سابق، ج1، ص 269 .

<sup>2</sup> -المقريزي، السلوك، مصدر سابق، ج1، ص 295 .

<sup>3</sup> -قاسم عبده قاسم، عصر سلاطين المماليك، دار الشروق، ط1، القاهرة، 1994، ص 7 .

<sup>4</sup> - قاسم عبده قاسم، عصر سلاطين المماليك التاريخي السياسي والاجتماعي، مرجع سابق، ص11.

<sup>5</sup> -دمياط: من المدن القديمة بمصر تقع على بحر الروم وعندها يصب النيل، وهي من الثغور الإسلامية. ينظر: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي (ت 626هـ)، معجم البلدان، دار صادر، ط2، بيروت، 1995م، ج3، ص 537.

<sup>6</sup> -شجرة الدر: هي أول سلطانة من غير الأيوبيين، قيل إنها أرمنية الأصل كما قيل تركية الأصل، كانت هدية أهداها الخليفة المستعصم إلى نجم الدين أيوب في عهد أبيه الملك الكامل، و قد أنجبت منه الخليل و مات و به تكتى: أم خليل، رافقت زوجها في رحلاته إلى المشرق، وكانت ذكية وجميلة صعبة الخلق شديدة الغيرة، قوية البأس، ذات شهامة زائدة، تربعت على عرش مصر باختيار المماليك لها، غير أن المسلمين رفضوا أن تحكمهم امرأة فعزلت نفسها بعد ثمانين يوم من الحكم، وقُتلت من طرف المماليك سنة: 655 هـ/ 1257م، ينظر: ابن تغري بردي، مصدر سابق، ج6، ص 91، ابن اياس، المصدر السابق، ج1 ص 695، ابن كثير، مصدر سابق، ج13، ص 225 .

دخل الجيش الصليبي مدينة المنصورة<sup>3</sup> إلا أنّ الجيش المصري تمكن منه، ففر لويس التاسع ناحية دمياط ليطارده الجيش المصري ويُلحق به شر هزيمة في فارسكور<sup>4</sup> سنة (648هـ/1251م)، وكان الذي يقود المعركة فارس الدين أقطاي<sup>5</sup> وركن الدين بيبرس<sup>6</sup> وأسر ملك فرنسا لويس التاسع وسيق مُكبلا بالأغلال إلى المنصورة، وسُجن في دار فخر الدين إبراهيم ابن لقمان كاتب الإنشاء بالمنصورة.<sup>7</sup>

في هذه الأثناء وصل تورانشاه لمصر بعد معركة المنصورة<sup>8</sup> سنة (648هـ/1250م) وكان سيء الخلق والتدبير وأساء معاملته المماليك أصحاب القوة الفعلية ولم يكتفي بذلك بل تنكر لزوجته أبيه شجرة الدر واتهمها بالطمع في ثروة أبيه، فدبّ الخلاف بينه وبين شجرة الدر من جهة وبينه وبين أمراء المماليك من جهة ثانية، فاتفق أمراء المماليك التخلص منه بإيعاز من شجرة الدر وبالفعل تم ذلك، ومات تورانشاه غريقاً محترقاً يوم 26 محرم 648 هـ/1251م، وبموته انتهى حكم الأيوبيين في مصر وطويت صفحة من صفحات التاريخ الإسلامي.<sup>9</sup>

## 2- قيام دولة المماليك

بعد مقتل تورانشاه اختار المماليك أرملة السلطان الصالح نجم الدين أيوب الأميرة شجرة الدر سلطانة البلاد يوم 10 صفر 648 هـ/1250م، إذ كانت جارية من الأرمن الأتراك اشتراها الصالح نجم الدين ثم اعتقها وتزوجها،

<sup>1</sup> - المقرئزي، السلوك، مصدر سابق، ص346.

<sup>2</sup> - حصن كيفا: قلعة كبيرة على دجلة بين آمد وجزيرة عمر من ديار بكر، ينظر: ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج3، ص565.

<sup>3</sup> - مدينة المنصورة: مدينة تقع بين دمياط والقاهرة، أنشأها الملك الكامل سنة: 616 هـ/1219 م، ينظر: نفسه، ج5، ص244.

<sup>4</sup> - فارسكور: قرية من قرى مصر على شاطئ النيل من الضفة الغربية، وهي قرية من دمياط، ينظر: نفسه، ج4، ص257.

<sup>5</sup> - فارس الدين أقطاي: من مماليك الصالح نجم الدين أيوب، وكان -جماديا- أي المشرف على خزائن الملابس السلطانية، وأصبح مقدا على المماليك البحرية، وعلا شأنه في الدولة المعزية بالديار المصرية، وكان نتيجة ذلك أن قُتل بأمر من السلطان عز الدين أيوب، لطمعه في السلطنة، وذلك سنة 652 هـ / 1254 م، ينظر: ابن تغري بردي، مصدر سابق، ج2، صص، 501، 505 .

<sup>6</sup> - ركن الدين بيبرس: مملوك أصله تركي، ولد ببلاد القبحاق عُرف بالبندقاري، نسبة الى استاذه ايدكين البندقاري، ثم انتقل لخدمة السلطان الصالح نجم الدين أيوب، كان شجاعا بطلا، تولى حكم المماليك بعد قطر، حكم قرابة 17 سنة، ويعتبر المؤسس الحقيقي لدولة المماليك الأولى، مات سنة 676 هـ / 1277 م، ينظر: ابن اياس، مصدر سابق، ج1، صص، 3، 9، ابن كثير، مصدر سابق، ج 13، ص 251 .

<sup>7</sup> - المقرئزي، السلوك، المصدر السابق، ج 1، ص306، ابن تغري بردي، مصدر سابق، ج 6، ص367 .

<sup>8</sup> - لمزيد من التفاصيل عن هذه المعركة، يُنظر: محمد مصطفى زيادة، حملة لويس التاسع على مصر وهزيمته في المنصورة، د.د.ن.د.ط، القاهرة، 1961، صص، 201، 245.

<sup>9</sup> - المقرئزي، السلوك، المصدر السابق، ج1، صص، 360، 358.

فاعتبرها بعض المؤرخين أولى سلاطين دولة المماليك فيقول المقرئزي: "وهذه المرأة شجرة الدر هي أول من ملك مصر من ملوك الترك المماليك"<sup>1</sup> بعد ثمانين يوم من حكمها تزوجت عز الدين أيبك، ثم تنازلت له عن الحكم يوم 29 ربيع الثاني 646 هـ/1249م،<sup>2</sup> فاعتبر بعض المؤرخين عز الدين أيبك أول سلاطين المماليك وفترة حكم شجرة شجرة الدر الفترة الفاصلة بين الأيوبيين والمماليك.<sup>3</sup>

### المبحث الثالث: دولتنا المماليك

#### 1- المماليك البحريةية ( 648-784 هـ / 1250-1382 م)

ويطلق عليهم أيضا الدولة التركية لأن أغلب حكامها كانوا من أصل تركي، وهم الذين استخدمهم الصالح نجم الدين الأيوبي في بسط قوته وتوحيد الدولة الأيوبية وكانوا يقطنون في جزيرة الروضة<sup>4</sup> في نهر النيل وسماهم البحرية<sup>5</sup> نسبة لنهر النيل، بينما هناك من أرجع اسم البحرية لكونهم يجلبون عن طريق البحر.<sup>6</sup>

بلغ عدد ملوكها 24 سلطان، ودام حكمهم 144 سنة<sup>7</sup>، أولهم السلطان عز الدين أيبك الذي بدأ حكمه سنة (648 هـ/1250م)، وآخرهم السلطان صلاح الدين حاجي بن شعبان بن حسين بن ناصر بن قلاوون الذي أنهى حكمه الجراكسة سنة (784 هـ/1381م).<sup>8</sup>

<sup>1</sup>- المقرئزي، السلوك، مصدر سابق، ج1، ص361.

<sup>2</sup>- ابن اياس، بدائع الزهور، مصدر سابق، ج1، ص90.

<sup>3</sup>- عبد الرحمان بالاعرج، العلاقات الثقافية بين دولة بني زيان والمماليك، إيش الدكتور: مبخوت بودواية، مذكرة ماجستير، كلية الآداب و العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2008/2007، ص17.

<sup>4</sup>- جزيرة الروضة: كانت تسمى قديما ( جزيرة مصر )، ثم سميت الروضة في عهد الأفضل بن أمير الجيوش وكانت من أجل الأراضي حسنا بما البساتين و المناظر، وفي عهد الصالح نجم الدين أيوب جعلها قاعة يسكن بها مماليكه البحرية، ووسعها وبنى بها جامع وبرجا محيطا بها وشحنها بالآلات الحربية والأسلحة والغلال، ينظر: ابن اياس، المصدر السابق، ج1، ص-270-271.

<sup>5</sup>- شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد القرشي التيمي البكري، التويري (ت 733هـ)، نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، ط2، القاهرة، 2003، ج2، ص360.

<sup>6</sup>- سعيد عبد الفتاح عاشور، العصر المماليكي، المرجع السابق، ص5.

<sup>7</sup>- أنظر: الملحق رقم: 01.

<sup>8</sup>- إيناس حسني البهجي، مرجع سابق، ص21.

من أشهر سلاطينها سيف الدين قطز<sup>1</sup> الذي حكم سنة (657 هـ/1259م) وهو ثالث سلاطين الدولة المملوكية وقائد معركة عين جالوت بين التتار والمسلمين حيث حقق فيها المسلمون نصرا معززا ضد التتار يوم الجمعة 25 رمضان (658 هـ/1260م)، وبعد معركة عين جالوت أُغتيل السلطان قطر، وتولى مكانة الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري الذي يعتبر المؤسس الحقيقي للدولة المملوكية، ففي عهده اتسعت رقعة الدولة لتشمل الشام والحجاز حتى صار يلقب بسلطان الديار المصرية والديار الشامية والديار الحجازية، بعد أن حقق إنجازات أهمها إحياء الخلافة العباسية بعدما انتهت على يد التتار ببغداد بعد مقتل الخليفة العباسي المستعصم بالله.<sup>2</sup>

كما أنه قام بتخفيض الضرائب، وسن القوانين العادلة والاعتدال في ترقية مماليكه<sup>3</sup> ومن أعماله إنشاء المدارس والجموع، وتعيين قاضيا لكل مذهب من المذاهب الأربعة الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة، هذا على المستوى الداخلي، أما على المستوى الخارجي فقد حارب المغول والفرنجة، مسترجع الكثير من الحصون في البر والبحر كما أنه قضى على فرقة الحشاشين بالشام، وفي سنة (676 هـ/1278م) توفي السلطان الظاهر بيبرس.<sup>4</sup>

حافظت دولة المماليك البحرية على قوتها و نفوذها بعد السلطان بيبرس باعتلاء الناصر محمد بن قلاوون<sup>5</sup> للحكم، وهو تاسع سلاطين المماليك البحرية، حيث عرفت فترة حكمه عدة مميزات كونها من أطول فترات الحكم في دولة المماليك البحرية من (693 هـ/1295م) إلى غاية وفاته سنة (741 هـ/1341م)، واستجلب المماليك بأعداد كثيرة خاصة من بلاد الروم، كما عرّف عهده عدة اضطرابات سياسية وتمردات،<sup>6</sup> وغيّر في نظام الحكم

<sup>1</sup> سيف الدين قطز: الملك المظفر تولى الحكم سنة 658 هـ/1259 م، قاد المسلمين في أعظم معركة ضد التتار، هي: معركة عين جالوت، وتحقق النصر للإسلام والمسلمين سنة 658 هـ توفي في ذات السنة، ينظر: ابن تغري بردي، مصدر سابق، ج7، ص72، 74.

<sup>2</sup> أحمد مختار العبادي، قيام دولة المماليك، مرجع سابق، ص 180.

<sup>3</sup> اليسر وليم موير، تاريخ دولة المماليك في مصر، تح: محمود عابدين، وآخرون، مكتبة مادبولي، ط1، القاهرة، 1995، ص-ص48-47.

<sup>4</sup> إبراهيم الأبياري، نضرات في التاريخ الإسلامي، دار الكتاب المصري، د.ط، القاهرة، 1987، ج 2، ص646.

<sup>5</sup> محمد بن قلاوون: هو السلطان الملك الناصر ناصر الدين أبو المعالي وأبو السلاطين، ولد سنة: 684 هـ/ 1285 م، تولى الحكم بعد مقتل أخيه الأشرف بن قلاوون سنة 693 هـ/1293 م واستمر في الملك إلى وفاته سنة: 741 هـ/1340 م، أعظم ملوك مصر، كان ملكا مطاعا مهيبا ذا دهاء وحزم، طويل الصبر على ما يكره،: أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد ابن حجر العسقلاني (ت 852 هـ)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن ط2، الهند، 1972، ج4، ص، ص90، 93.

<sup>6</sup> سعيد عبد الفتاح عاشور، مصر و الشام في عصر الأيوبيين و المماليك، دار النهضة العربية، ط1، بيروت، 1972، ص، ص204، 215.

فألغى نيابة السلطنة وتفرد بحكم البلاد، وبسطت الدولة نفوذها في عهده من المغرب إلى الشام والنوبة والحجاز وبلاد السودان، وجاءته الهدايا والرسائل من ملوك الصين و الحبشة والتكرور والترك والمغرب والافرنج والروم<sup>1</sup>. وبقي الحكم في ذريته حتى نهاية دولة المماليك البحرية وقيام دولة الجراكسة البرجية المملوكية.<sup>2</sup>

## 2 - المماليك البرجية: ( 784 - 923هـ / 1382 - 1517 م )

وسُميت بالبرجية نسبة إلى الأبراج التي كان يقطنها المماليك، وأما تسمية الشراكسة أو الجراكسة لان معظم ملوك هذه الفترة من أصل جركسي، وموطنهم الأصلي شمال بحر قزوين وشرقي البحر الأسود، و تعود نشأة المماليك الجراكسة الدولة المماليك البحرية في عهد السلطان المنصور قلاوون<sup>3</sup> الذي استكثر منهم وأسكنهم بجواره بأبراج القلعة، ثم تعهدهم بنفسه بتدريبهم والإنفاق عليهم، حتى ذكر مؤرخو الدولة المملوكية أن عددهم بلغ في نهاية عهده- المنصور قلاوون - ما بين ثلاثة آلاف وسبعة آلاف مملوك.<sup>4</sup>

واستمر السلطان الأشرف بن قلاوون على سياسة أبيه في الاستكثار من شراء الجراكسة، وسمح لهم بالنزول من القلعة للقاهرة، فاختلطوا بغيرهم من المماليك وأصبح أمراؤهم يتطلعون للحكم كغيرهم،<sup>5</sup> فلمع منهم شخصية برقوق الجركسي العثماني<sup>6</sup> والذي تدرج في المناصب حتى تولى قيادة الجيش في آخر عهد المماليك البحرية، إذ كان كان يجلس على السلطنة حاجي بن شعبان وكان عمره سبع سنوات، وفي سنة (784هـ/1383م) اتفق أهل

<sup>1</sup>-القلقشندي، مصدر سابق، ج8، ص، ص، 63، 119 .

<sup>2</sup>-أبو العباس تقي الدين أحمد بن علي المقرئ (ت 845هـ)، المواظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقرئية، تح: مديحة الشراوي، مكتبة مديبولي، ط1، القاهرة، 1997، ج2، ص-ص 239-240.

<sup>3</sup>- السلطان المنصور قلاوون: سيف الدين الصالح النجمي، كان في خدمة السلطان الصالح نجم الدين و ترقى في المناصب، حتى بويع بالسلطنة على مصر سنة 678 هـ/ 1279 م، وهو الملك السابع من ملوك الديار المصرية، ظل في الحكم إلى وفاته سنة: 689 هـ /1290م،، شجاعا مقداما، كان مغرما بشراء المماليك، وهو صاحب البيمارستان المنصوري، ينظر: المقرئ، السلوك، مصدر سابق، ج1، ص، ص، 663، 756، ابن اياس، مصدر سابق، ج1، ص 347 .

<sup>4</sup>- ابن اياس، نفسه، ج1، ص، 361، المقرئ، السلوك، المصدر السابق، ج1، ص755، ابن تغري بردي، مصدر سابق، ج7، ص327.

<sup>5</sup>-ركن الدين بيبرس المنصوري الناصري الخطائي الدوادر المصري الأمير(ت725هـ)، زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، تح: زبيدة محمد عطا، عين للدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية، القاهرة، 2001، ص، ص، 289، 300.

<sup>6</sup>-برقوق الظاهر أبو سعيد الجركسي العثماني نسبة إلى الخوارج عثمان جالبه من بلاد الجركس، وشتره فيما بعد الأمير يلبغا الناصري وسمي بالبرقوق لتتو في عينيه. ينظر: ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج12، ص1.

الحل والعقد في الدولة على خلع حاجي بن شعبان وتعيين برقوق الجركسي سلطانا على البلاد وتلقب بالملك الظاهر، وبذلك انتهى عصر المماليك البحرية وابتدأ عهد المماليك البرجية.<sup>1</sup>

تميز عصر الجراكسة بتغيير نظام الحكم بعدما كان وراثيا في عهد البحرية، فأصبح السلطان يصل إلى الحكم بعد المؤامرات والدسائس والاعتيالات، كما شهد عهدهم تفضيل العنصر الجركسي عن غيره مما أحدث تغييرا في النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وبلغ عدد سلاطينها 25 سلطانا<sup>2</sup> كان آخرهم السلطان طومان باي الذي سقطت الدولة المملوكية في عهده على يد العثمانيين سنة (923هـ/1517م).<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - المقرئزي، السلوك، مصدر سابق، ص 476.

<sup>2</sup> - أنظر: الملحق رقم 02 .

<sup>3</sup> - محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت 1250هـ)، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار المعرفة، د.ط، بيروت، د.ت، ج2، ص-ص54-55.

## الفصل الأول

# المغاربة و أسباب تواجدهم بمصر المملوكية

المبحث الأول: ضبط مصطلح المغاربة في البحث

المبحث الثاني: عوامل تواجد المغاربة بمصر المملوكية

## المبحث الأول: ضبط مصطلح المغاربة في البحث

## 1- الغرب الإسلامي:

المراد بالمغرب ما يقابل المشرق، وهو ما يقع غرب عاصمة الخلافة الإسلامية، فمصطلح المغرب عند الرحالة والجغرافيين يُطلق على كل الأقاليم الواقعة غرب مصر بما فيها الأندلس، كابن حوقل (367 هـ / 977 م) الذي أعطى مفهوما شاسعا للمغرب بأقسامه الثلاثة، الأدنى والأوسط والأقصى والأندلس، فيقول في كتابه صورة الأرض "وأما الغربي فمن مصر وبرقة إلى إفريقية وناحية تنس إلى سبتة وطنجة....وأما الأندلس فهي جزيرة تتصل بالبر من جهة جليقية، وافرنجة وهي في جملة المغرب"<sup>1</sup>، كما يرى الإصطخري بأنّ الأندلس ضمن المغرب إذ قسمه إلى مغرب شرقي، ويضم الأقاليم الثلاثة سالفة الذكر، ومغرب غربي وهو الأندلس<sup>2</sup>، كذلك ابن عذارى يعتبر الأندلس جزء من المغرب كما جاء في كتابه البيان المغرب "وبلاد الأندلس من المغرب وداخله فيه، لاتصالها به"<sup>3</sup>.

ويذهب المقدسي إلى نفس الطرح عن حدود بلاد المغرب فيقول "إقليم يحيى وبه جُزُر عدة، مثل الأندلس الفاضلة العجيبة، وتاهرت الطيبة النزيهة، وطنجة البلدة البعيدة، وسجلماسة المختارة الفريدة وصقلية الجزيرة المفيدة"<sup>4</sup>، ومنه فالمغرب الإسلامي على رأي الجغرافيين والرحالة يمتد من برقة شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا بالإضافة إلى الأندلس.

<sup>1</sup> - أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادي الموصلية، (ت بعد 367هـ)، صورة الأرض، دار صادر، د.ط. بيروت، 1938، ص 64-65.

<sup>2</sup> - أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الإصطخري، المعروف بالكرخي (ت 346هـ)، المسالك و الممالك، طبعة لندن بريل، دار صادر، د.ط. بيروت 1870، ص-ص 36-37.

<sup>3</sup> - أبو العباس احمد ابن محمد ابن عذارى المراكشي ( كان حيا سنة 712 هـ ) البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، تح: ليفي بروفينال، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1983، ج، 4 ص .

<sup>4</sup> - أبو هبدا الله محمد ابن أحمد المقدسي ( 356 هـ )، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولي للنشر، ط3، القاهرة، مصر، 1991، ص 311.

## 2- المغاربة:

جاء في دائرة المعارف التونسية أنّ لفظ المغاربة اسم مشتق ويعني الناطقين بالعربية وغير العربية بالمغرب الإسلامي وتدخل ضمن ذلك الأندلس.<sup>1</sup>

أمّا في كتب التراجم فيُطلق على كثير من علماء ورجال الأندلس بالمغربي، فنجد عند المقرئ في كتابه المقفى الكبير ترجم للأندلسيين بلفظ المغربي فيقول عند ترجمة إبراهيم بن خالد اللبيري بقوله: إبراهيم بن خالد بن إسحاق الأموي المغربي من أهل البيرة بالأندلس،<sup>2</sup> وابن خميس الجزيري المغربي ولد بالجزيرة الخضراء من بلاد المغرب، وتوفي بمصر سنة (723 هـ/1323م)،<sup>3</sup> أما ابن حجر في الدرر ينسب الأندلسيين للمغرب الإسلامي، فتأتي لفظة المغربي عقب ذكر اسم المترجم له واسم البلدة الأندلسية التي ولد بها مثل: عبد الله بن محمد التحيبي الأندلسي ثم التونسي المغربي (ت 743 هـ/1343م)، وهذا يشير إلى أنّ أهل الأندلس بعد القرن السابع هجري قد هاجروا لبلدان المغرب الإسلامي بفعل ما وقع للأندلس من سقوط معقل المسلمين سوى غرناطة، ومنها التوجه نحو المشرق، فيطلق المشاركة لفظة المغربي على من وفد عليهم من أهل الغرب الإسلامي عموماً<sup>4</sup>، كما نجد السخاوي في كتابه الضوء اللامع عند ترجمته للأندلسيين بإضافة نسبة المغربي فيقول المالقي المغربي، المغربي الغرناطي،<sup>5</sup> والأمثلة عنده كثيرة.

أمّا في شذرات الذهب عند ابن عماد الحنبلي فنجد أبو محمد عبد الله ابن إبراهيم المغربي الأندلسي،<sup>6</sup> والقفطي في كتابه أخبار العلماء بأخبار الحكماء يذكر أحد علماء الأندلس بقوله "أبو الحكم المغربي الأندلسي"<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> - محمد الطالبي، دائرة المعارف التونسية، مادة المغاربة، بيت الحكمة قرطاج، تونس، 1994، ص، 207، 211.

<sup>2</sup> - أبو العباس تقي الدين أحمد بن علي المقرئ (ت 845 هـ)، المقفى الكبير، تح: محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، لبنان، 2006، ج1، ص 93.

<sup>3</sup> - نفسه، ج1، ص 368.

<sup>4</sup> - ابن حجر، الدرر الكامنة، مصدر سابق، ج3، ص 67.

<sup>5</sup> - شمس الدين بن عبد الرحمان السخاوي (ت 902 هـ/1496م)، الضو اللامع لأهل القرن التاسع، دار الجبل، بيروت، 1992، ج1، ص 30.

<sup>6</sup> - أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن عماد الحنبلي (1089 هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: محمود الارناؤوط، دار ابن كثير، ط1 دمشق، بيروت، 1986، ج 4، ص 493.

<sup>7</sup> - أبو الحسن جمال الدين علي بن يوسف بن إبراهيم الشيباني القفطي، (ت 646 هـ) تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت لبنان، 2005، ص 298.

أما في كتب الطبقات فيأتي ذكر المغاربة ويقصد بهم ما كان غرب الدولة الإسلامية، فنجد ذلك عند ابن أبي أصيبعة عند التأريخ لطبقات الأطباء.<sup>1</sup> وما أشار إليه ابن فضل الله العمري في تاريخه للعلماء بقوله: " أطباء الغرب بمصر " ويقصد بهم المغرب والأندلس،<sup>2</sup> على اعتبار أن كل من جاء من الأندلس أو المغرب على حد سواء عُرف في كثير من الأحيان بتسمية (المغربي).<sup>3</sup>

كما نجد العلماء والمؤرخين الذين ترجموا للأندلسيين الذين وفدوا لمصر والشام أو سائر الأقطار العربية الأخرى اعتادوا أن يطلقوا عليهم كلمة ( المغربي )، وقد درج على هذا العلماء وغير العلماء، فلا يُفهم من هذا اللقب الوافدين من المغرب الإسلامي بأقطاره الثلاث، بل يتعداه للأندلس.<sup>4</sup>

فلفظ المغاربة هو المصطلح الشائع للدلالة على الأفراد والمكونات البشرية الوافدة من الغرب الإسلامي بأكمله، بما في ذلك الأندلس، ومنه فهذا الاستعمال الواسع للفظ المغاربة نجد له مبرراته من خلال ما سبق من عدم التفريق والتمييز بين أقطاره الثلاثة الأدنى، والأوسط، والأقصى بالإضافة للأندلس من طرف المؤرخين والرحالة، خاصة عند الترجمة لأعلام الأندلس أو المغاربة في بلاد المشرق.<sup>5</sup>

<sup>1</sup> - أبو العباس أحمد ابن القاسم ابن أبي أصيبعة ( ت 668 هـ )، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تح: نزار رضاء، مكتب دار الحياة، د.ط، بيروت، د.س، ص 478 .

<sup>2</sup> - أبو العباس العمري شهاب الدين ابن فضل الله: احمد بن يحيى ( ت 749هـ/1349 م )، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار،، تح: محمد عبد القادر خريسان و آخرون، مركز زايد للتراث، د.ط، د.س، ج9، ص 312 .

<sup>3</sup> - علي أحمد، الأندلسيين و المغاربة في بلاد الشام، من نهاية القرن الخامس و حتى نهاية القرن التاسع هجري، دار طلاس للدراسات و الترجمة و النشر، ط1، دمشق، 1969، ص 317 .

<sup>4</sup> - نفسه، ص 131 .

<sup>5</sup> - عاشور منصورية، المغاربة في البلاد المصرية ( ق 4-9 هـ / 10-15 م )، مذكرة دكتوراه في التاريخ الإسلامي، اش: علاوة عمارة، قسم التاريخ و علم الآثار، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة باتنة 1، 2018/2019، ص 45.

### المبحث الثاني: عوامل تواجد المغاربة بمصر المملوكية

إنَّ حركة تنقل المغاربة للمشرق سواءا الحجاز أو الشام أو مصر ظلت مستمرة طيلة فترات التاريخ الإسلامي، إقنا طلبا للعلم أو لمزاولة التجارة أو في طريقهم للحج، لذا عُرف التواجد المغربي بالمشرق عموما وبلاد مصر خصوصا قبل القرن السادس الهجري الثاني عشر ميلادي، بعملية هجرة أو نزوح انفرادية مؤقتة أو مستقرة، تعددت أسبابها وغاياتها، لتصبح عملية انتقال المغاربة للمشرق عموما وبلاد مصر خصوصا بعد ذلك، أي بعد القرن (6 هـ / 12 م)، عملية انتقال جماعية، تميزها نزعة الاستقرار والاستيطان، وبصورة نشطة ومستمرة طيلة بقية فترة العصور الوسطى، ومن هنا يتبادر لأذهاننا عن بواعث ذلك، وأهم عوامل نشأة هذا الانتقال والتواجد لفئات من المجتمع المغاربي بمصر خلال العهد المملوكي، وعند تتبعنا واستقراءنا للأسباب تبين أنّ هذه العوامل لم تكن موجودة بشكل مستقل في جهة دون أخرى، أي لم تكن متعلقة بأوضاع الغرب الإسلامي في تلك الفترة، دون ما تمر به مصر المملوكية في نفس الوقت أو العكس، لكن تبين أنّ هذه العوامل كانت موجودة على الجهتين مع اختلاف في قيمتها كعوامل ايجابية، مشجعة، مستقطبة، جاذبة على مستوى بلاد مصر خلال العصر المملوكي، وعوامل سلبية، قاهرة، طاردة على مستوى بلاد الغرب الإسلامي بتلك الفترة.<sup>1</sup>

#### 1- عوامل متعلقة بالغرب الإسلامي (عوامل طرد)

إنَّ الحديث عن التواجد المغربي بمصر عصر الدولة المملوكية، يضطرنا للرجوع قبلها، إذ أنّ هذا التواجد لم يكن وليد هذا العصر بل كان سابقا له، إذا ما استثنينا رحلة الحج والرحلات العلمية الفردية لطلب العلم و الاستزادة منه، وطلب الإجازات ثم العودة لبلاد الغرب الإسلامي، فوصول أهل الربض الأندلسيين المطرودين من قرطبة سنة (202 هـ/ 620 م)، فمكثوا مدة بالإسكندرية ليُخرجوا منها إلى جزيرة كريت، وأسسوا بها حكما إسلاميا استمر لسنة (350 هـ/ 961 م)، ولجوء الحاكم الأغلبي زيادة الله آخر ملوك الأغالبة لمصر مع ما تبقى من جيشه جراء الزحف الفاطمي سنة (296 هـ/ 909 م)، يمكن اعتباره بدايات الحضور المغاربي في مصر.<sup>2</sup>

لتتضح معالم التواجد المغربي بمصر بشكل جلي عند انتقال الفاطميين لمصر سنة (362 هـ/ 973 م) في عهد المعز لدين الله الفاطمي، واصطحاب الكتاميين معهم، الذين قامت الدولة الفاطمية على أكتافهم بإفريقية فاشتركوا معهم

<sup>1</sup> - علي أحمد، الأندلسيين و المغاربة في بلاد الشام، مرجع سابق، ص 73.

<sup>2</sup> - أحمد مختار العبادي، تاريخ المغرب و الأندلس، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، ط1، بيروت، د.س، ص، 185، 199.

في إدارة البلاد وتقلدوا أعلى المناصب كالوزارة والحسبة والقضاء،<sup>1</sup> فاعتبر بذلك العصر الفاطمي مرحلة مفصلية ومؤثرة في تاريخ تواجدهم واستقرار المغاربة بمصر.<sup>2</sup>

### 1-1- الاضطرابات والتغيرات السياسية:

إنّ العوامل السياسية كانت دافعا قويا في تسريع عملية الإفادة المغاربية للبلاد المصرية، فالصراع الداخلي والهجوم الخارجي كان ميزة الغرب الإسلامي، عكس المشرق فتبدّل الحكم السياسي تحول إلى عامل جذب واستقطاب، كما هو الحال عند سقوط الخلافة الإسلامية بالديار المصرية.<sup>3</sup>

يمكن تقسيم الدوافع السياسية إلى داخلية وخارجية، أما الداخلية، فقد شهدت الأندلس حالة من الاستقرار السياسي طيلة فترة الدولة الأموية ( 138 هـ - 422 هـ/756-1031 م )، مصحوبة بتطور وازدهار اقتصادي في جميع المجالات، الزراعة والصناعة وغيرها وتقدّم علمي وفكري، تطورت من خلاله مختلف أصناف العلوم بشكل كبير وسريع، وأصبحت فيه الحضارة الأندلسية تضاهي نظيرتها المشرقية.<sup>4</sup>

وفي القرن 5 هـ/11 م أصيبت الأندلس بنكبة مؤلمة؛ وهي سقوط الخلافة الأموية سنة (422 هـ/1030 م)، الأمر الذي خلق حالة من الفوضى دخلت فيها الأندلس إلى مرحلة جديدة عرفت بمرحلة ملوك الطوائف، رغم ذلك بقيت الأندلس محافظة على تطورها الفكري والاقتصادي، مما حال دون خروج الأندلسيين منها، لكن الاختلاف والحروب بين ملوك الطوائف مع بعضهم البعض جعل حواضرها عرضة لعمليات الاسترداد الإسباني من طرف الممالك النصرانية، لتسقط دول ملوك الطوائف، وتُعرف قيام دولة المرابطين على أنقاضها ( 485 هـ - 541 هـ/1092 م - 1146 م )، وهي دولة سنية مالكية، وإثر سقوطها ظهرت دولة الموحدون بعدها ( 541 هـ - 668 هـ/1146 م - 1270 م )، التي ارتكزت في دعوتها على خليط من فكر المعتزلة والأشعرية والشيعة والسنة، وهذا ما أدى لظهور فئات اجتماعية متضررة من فقهاء وعلماء معارضين لها.<sup>5</sup>

<sup>1</sup> - موسى لقبال، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس هجري، الشركة الوطنية لنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 1979، ص61.

<sup>2</sup> - سماح السلاوي، المغاربة في مصر العصور الوسطى، مجلة المقتطف المصري التاريخية، ع 5، جوان 2010، ص45.

<sup>3</sup> - علي أحمد، مساهمات الأندلسيين و المغاربة في الحروب الصليبية في مصر و الشام، مجلة التراث العربي، دمشق، 1967، ص، ص73، 67.

<sup>4</sup> - علي أحمد، الدور الفكري للأندلسيين و المغاربة في المشرق الإسلامي ( ق 5 - 9 هـ/11-15 م ) دار شمال، ط1، دمشق، 1995، ص 81.

<sup>5</sup> - نجاة الجويني، هجرة العلماء المغاربة للمجال المملوكي و دورها في تطور الحياة الفكرية من خلال كتب الوثائق المملوكية، مجلة قيس للدراسات الاجتماعية و الإنسانية، مج 3، ع3، جوان 2019، ص213.

لتشهد بلاد الغرب الإسلامي بُرُثته حالة من عدم الاستقرار والتذمر وعدم الرضى عن الأحوال المعيشية، بسبب الاضطرابات والتبدلات السياسية، مما جعل المغاربة والأندلسيين يتجهون نحو المشرق هرباً من الظروف التي يشهدها الغرب الإسلامي<sup>1</sup>.

وقد أشار أبو عبد الله محمد بن محرز بن محمد المعروف بركن الدين الوهراني (ت 575 هـ/1179 م) الذي رحل نحو الديار المصرية في عصر الدولة الأيوبية، إلى ما وصلت إليها الأوضاع السياسية الداخلية في ظل تبدل الأنظمة فقال في مناماته " لما تعذرت مآربي، و اضطرت مغاربي، ألقيت جنلي على غاربي، وجعلت مذهبات الشعر بضاعتي..."<sup>2</sup>، ولما سئل الوهراني عن عبد المؤمن بن علي (ت 558 هـ/1162 م) قال " مؤيد من السماء، خوّاض للدماء، مُسلّط على من فوق الماء، حكم سيفه في المعمم، وأعمله في رقاب الأمم..."<sup>3</sup>، فتغير الكيانات السياسية تبعه تبدل عقائدي، فتعصّب الموحدون لمذهبهم التومرتي، واعتبروا كل من أخذ بغيره خارج عن الملة، حلت فيه جميع العقوبات، وسوء المعاملة والمطاردة، فأحسّ فقهاء المذهب المالكي وعلماءه بالخوف والقلق، كما حدث للفقهاء والأصولي المالكي أبي الوليد محمد بن فيرة القرطبي (ت 551 هـ/1156 م) الذي قدم مصرًا هارياً من بني عبد المؤمن، وكذلك ما وقع لابن سعيد المغربي (ت 685 هـ/1286 م) صاحب كتاب المغرب في حلى المغرب الذي تغيرت حاله عند ابن عمه أبي عبد الله محمد بن سعيد الذي كان وزيراً لدى أبي زكريا يحيى الحفصي الموحد الذي ملك إفريقية (ت 647 هـ/1249 م)<sup>4</sup>، وما حدث لأثير الدين أبوحيان (ت 745 هـ/1345 م) مع شيخه الذي وشى به إلى السلطان، ولعل هجرة ابن خلدون واستقراره بالقاهرة وموته هناك إلاّ بسبب عدم الاستقرار السياسي والاختلافات المذهبية والفكرية بين العلماء والسلطين، أو العلماء فيما بينهم<sup>5</sup>.

كما كانت مصر ملجأً لأمرء الغرب الإسلامي المغضوب عليه كالأمر أبو يحيى زكرياء الحفصي الذي لجأ إلى الإسكندرية سنة (721 هـ/1321 م) فانزله السلطان الناصر محمد بن قلاوون، وأحسن ضيافته وسمح له بالحج حتى

<sup>1</sup> - الحاج عيفة، إسهامات المغاربة والأندلسيين في مصر والشام بداية من السادس إلى القرن السابع الهجري، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراة في التاريخ الوسيط، إش: عبد الحميد الحاجيات، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2009 - 2010، ص-ص 29 - 30.

<sup>2</sup> - أبو عبد الله محمد بن محرز الوهراني، منامات الوهراني و مقاماته و رسائله، تح: إبراهيم شعلان، دار الكاتب العربي، د.ط، مصر، 1968، ص 10.

<sup>3</sup> - نفسه، ص 11.

<sup>4</sup> - الحاج عيفة، المرجع السابق، ص 33.

<sup>5</sup> - نجاة الجويني، مرجع سابق، ص 215.

توفي بها سنة (727هـ/1300م)، أمّا ما حدث لصاحب مدينة بسكرة ناصر ابن أحمد ابن مزني بعد أن تغلب عليه صاحب المغرب فاستقر بمصر واشتغل بالتاريخ حتى مات بها إلا إشارة على دور الوضع السياسي كعامل طرد<sup>1</sup>.  
وأما الخارجية فما حصل من حركات الاسترداد المسيحية باتجاه معاقل المسلمين بالأندلس، وسقوطها والاستيلاء عليها الواحدة تلو الأخرى و بشكل نهائي<sup>2</sup>.

فلم تأتي سنة (659 هـ/ 1261 م) حتى وقعت تقريبا جميع الحواضر الأندلسية تحت وطأة الاحتلال الإسباني، فقد استولوا على لوشة وماردة وبطليوس (622 هـ/ 1225 م)، و على جزيرة ميورقة سنة (627 هـ/ 1230 م)، وعلى قرطبة سنة (633 هـ/ 1236 م)، أمّا شاطبة سنة (635 هـ/ 1237 م)، و بلنسية سنة (636 هـ/ 1239 م)، وعلى مرسية واشبيلية سنة (645 هـ/ 1248 م)، وعلى شلب وطلبيرة سنة (659 هـ/ 1261 م)، ولم يبق لدى مسلمي الأندلس غير غرناطة تحت حكم بني الأحمر، هذا ولم يتوقف الأمر عند الاحتلال فقط بل صحبته إجراءات وممارسات تفرض على من أراد البقاء في مدنها بلغت حدا من الإهانة والشراسة وعدم الإنسانية، من قتل وتمييز وحرمان للممتلكات والحريات وتنصير، وحالة اقتصادية جد متدهورة وانتشار للأوبئة والأمراض، جعل الأندلسيين يفرون للمغرب الإسلامي بأقاليمه الثلاث ومنه إلى مصر<sup>3</sup>.

لتتواصل هجرة المغاربة إلى مصر حتى أواخر عهد الدولة المملوكية، مثلما حدث لأهل المغرب الأوسط إذ تعرضت مدنه لهجمات الأسبان ففي سنة (915هـ/1509م) تم الهجوم على مدينة وهران، واحتلالها فقتل خلالها أربعة آلاف من سكان المدينة، وفر الآلاف الآخريين باتجاه المشرق وخاصة مصر لقربها من المغرب الإسلامي واستقروا بمدنها مثل الإسكندرية والقاهرة<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - سماح السلاوي، مرجع سابق، ص46.

<sup>2</sup> - علي أحمد، الأندلسيين و المغاربة ، مرجع سابق، ص 89.

<sup>3</sup> - محمد عبد الله عنان، عصر المرابطين و الموحدين في المغرب الأندلس، مكتبة الخانجي، ط1، القاهرة، 1964، ص 627.

<sup>4</sup> - حسام محمد عبد المعطي، المغاربة في مصر خلال القرن 18م، مطبعة الإسكندرية، ط1، مصر، 2015، ص19.

## 1-2- عوامل أخرى:

إنّ الاضطرابات والتحوّلات السياسية التي شهدها المغرب الإسلامي بداية من ق 5 هـ 11 م إلى غاية سقوط دولة الموحدين ق 7 هـ/13 م .، وظهور عصر الدويلات الثلاثة: الحفصية بالمغرب الأدنى، والزيرية بالمغرب الأوسط، والمرينية بالمغرب الأقصى، وما جرى بينهم من حروب وتوسّعات على حساب بعضهم البعض، أثر سلبا على الوضع الاجتماعي والاقتصادي والثقافي، كما جرى في نهاية القرن 7 هـ من تعرض عاصمة المغرب الأوسط تلمسان الزيرية لحصار مربي دامت أكثر من ثماني سنوات، عرفت فيه تلمسان شدة عظيمة يقول ابن خلدون في ذلك " حيث ذقت فيه تلمسان من الجهد والجوع ما لم يسمع بمثله البلدان، واضطروا لأكل الجيف والقطط والفئران وحتى أشلاء الموتى من الناس، وغلت أسعار الأقوات "1 فمات من مات وهرب منهم الكثير إذ يقول ابن مرزوق " فكم خرجت فيها من ذمم وهلكت فيها من أمم وكم انجلى من أهلها أعلام " حيث انتشرت الأمراض والأوبئة والجوع والبؤس والحرمان.<sup>2</sup>

يقول صاحب عقد الجمان أن أهل برقة خلال القرن 7 هـ هاجروا لمصر لما وقع لهم من غلاء شديد، بسبب هجوم الجراد، فغلت الأسعار، وكثرت الموت، واشتد الأمر على الناس حتى أكلوا القطط والكلاب والميتة،<sup>3</sup> مما خلف حالة من الاضطرابات النفسية والهلع والخوف لدى المغاربة، وكوّن لديهم دافعا للهجرة نحو المشرق الإسلامي.<sup>4</sup>

والذي يجلب الانتباه بشكل بارز هو أنه خلال القرن ( 7 هـ/13 م ) ظهرت الهجرة الجماعية، حيث أصبحت جماعات تنتقل من الأندلس إلى أقاليم المغرب الإسلامي، ومن ثمّ إلى المشرق الإسلامي، خاصة مصر والشام، وعند سقوط دولة الموحدين ظهرت بالمغرب الإسلامي كيانات مستقلة عن بعضها البعض، قد يكون مكبلا لعدد المفكرين، وما تبع ذلك من تنافس على الحكم والمناصب، فانعكس ذلك سلبا على فئات كبيرة من المغاربة فاضطروا للهجرة نحو مصر والشام خصوصا وبقيّة أقاليم المشرق الإسلامي عموما.<sup>5</sup>

<sup>1</sup> - عبد الرحمن بن خلدون (ت 808 هـ)، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تج: سهيل زاكار، دار الفكر، ط1، بيروت، 1981، 200 ج7، ص 128.

<sup>2</sup> - محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس و تاريخ العرب المنتصرين، مكتبة الخانجي، ط4، القاهرة، 1998، ص 21.

<sup>3</sup> - بدر الدين محمود العيني (ت 855 هـ)، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تج: محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، القاهرة، 1995، ص 277.

<sup>4</sup> - الحاج عيفة، مرجع سابق، ص 36.

<sup>5</sup> - علي أحمد، الدور الفكري، مرجع سابق، ص 81.

كما ساهمت بعض فتاوى لعلماء الغرب الإسلامي على المهجرة في ظل ظروف التي شهدتها الأندلس من حروب استرداد، خاصة خلال القرن العاشر هجري، الخامس عشر ميلادي، ومن تلك الفتاوى فتوى العلم أبو العباس احمد بن يحيى الونشريسي (ت914هـ/1408م) وسميت: أسنى المتاجر في بيان أحكام من تغلب على وطنه النصرارى ولم يهاجر، وما يترتب عليه من العقوبات والزواج، هذه حثت مسلمي الأندلس المضطهدين على المهجرة.<sup>1</sup>

ويتضح مما سبق أن الدافع وراء هجرة المغاربة لمصر في العهد المملوك لم يكن أحاديا بل تفاعلت فيه عدة حوافز سياسية ودينية واقتصادية، جعلت من الغرب الإسلامي منطقة طرد لعدة فئات من المجتمع من علماء وطلبة علم وتجار وأصحاب حرف ومهن، وأهل تصوف وزهد.

ومقابل هذه العوامل السلبية يقابلها في الطرف الآخر عوامل متعلقة بمصر عصر سلاطين المماليك تعرف بعوامل استقطاب وجذب أو العوامل الايجابية.

## 2-عوامل متعلقة بمصر عصر دولة المماليك

كانت مصر خلال العهد المملوكي، أي طيلة ثلاثة قرون تمثل مركز التفاعل والاستقطاب في العالم الإسلامي، حيث امتد نفوذها زيادة على مصر والشام إلى الحجاز، أما غربا فكانت على اتصال بالدولة الحفصية في المغرب الأدنى، وهذا لتضافر عدة حوافز وعوامل سياسية ودينية واقتصادية وعلمية، فحمل سلاطين المماليك مهمة الدفاع عن الإسلام من الخطرين الخارجيين، المغول والصليبيين، في ظل تراجع وسقوط القوى الإسلامية الأخرى؛ الدولة العباسية في المشرق والموحدية بالمغرب، بالإضافة لوقوع الأندلس تحت الاحتلال الاسباني الصليبي خلال القرن (7هـ/13م)، أما اقتصاديا فأصبحت مصر مركزا للتجارة العالمية وهمزة وصل بين الشرق والغرب، مع ما لها من موقع جغرافي هام بتوسطها لقارات العالم، وإطلالها على البحر من جهتين، وجران نهر النيل على أراضيها، وبالنسبة للحوافز العلمية فتشجيع سلاطينها للعلم والعلماء بشكل كبير جدا، بالإضافة لوقوعها في طرق الحج بالنسبة للمغاربة، كل هذه الأسباب جعلتها منطقة جذب بشري لعدة فئات مشرقية ومغربية.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> -أبو العباس احمد بن يحيى الونشريسي، أسنى المتاجر في بيان أحكام من تغلب على وطنه النصرارى ولم يهاجر، وما يترتب عليه من العقوبات و الزواج، تخ: محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص69.

<sup>2</sup> -عبد الرحمان بالأعرج، مرجع سابق، ص 87.

2-1- العوامل الدينية:

انطلاقاً من وجوب أداء الركن الخامس للإسلام، ألا وهو حج بيت الله الحرام والقيام بالمناسك والزيارات، كان المغاربة كغيرهم من المسلمين في مختلف البلدان والأمصار يتجهون للحجاز لأداء فريضة الحج، قال تعالى ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾<sup>1</sup>، فمن بداية الفتح الإسلامي لبلاد المغرب وطيلة فترات الدولة الإسلامية، كان العامل الديني هو المحرك والمحدد لتوجه المغاربة للمشرق الإسلامي<sup>2</sup>. وهو ما بينه ابن خلدون في أولية القصد الديني فالقصد غالباً ما يكون الحجاز وهو منتهى سفرهم<sup>3</sup>.

وكانت قوافل الحجيج تنطلق من الحواضر الكبرى لبلاد الغرب الإسلامي، انطلاقاً من مدن المغرب الأقصى مثل مراكش وفاس وسلا، ومعهم حجاج شنقيط، مروراً ببلدان المغرب الأوسط، تلمسان ثم وهران فمليانة فبجاية ثم قسنطينة، بعدها بونة ومنها إلى المغرب الأدنى من باجة، ثم تونس مروراً بالحمامات، فسوسة ثم صفاقص، بعدها القيروان ثم قابس، فطرابلس ثم مصراتة، فسرت ثم برقة، ومنها الدخول لمصر<sup>4</sup>.

وكان ركب الحجيج يتكون من علماء وأدباء وتجار وغيرهم من الناس، وبالإضافة للطريق البري المخاذي للبحر، هناك الطريق البحري عبر البحر المتوسط نفسه، وصولاً لمدينة الإسكندرية ثم مدينة رشيد<sup>5</sup>، ليركب الحجاج المراكب النيلية إلى القاهرة، هناك يلتقي حجاج الغرب الإسلامي بحجاج مصر، لتواصل هذه القوافل رحلتها إلى الحجاز، ومنه فمصر هي المحطة الرئيسية التي يتوقف عندها الحجاج المغاربة ذهاباً أو إياباً، وعند العودة يقوم الحجاج المغاربة بزيارات لمعالم دينية في مصر تزيدهم تشریفاً مثل: جامع عمرو بن العاص بالفسطاط، والجامع الأزهر<sup>6</sup>، والمشهد

<sup>1</sup> - سورة الحج، الآية 27.

<sup>2</sup> - عاشور منصورية، مرجع سابق، ص 66.

<sup>3</sup> - ابن خلدون، مصدر سابق، ج 1، ص 481.

<sup>4</sup> - شوقي عبد القوي عثمان حبيب، التجارة بين مصر وإفريقيا في عصر سلاطين المماليك (648 هـ - 922 هـ / 1250م - 1517م)، المجلس العلمي للثقافة، القاهرة، 2000، ص-ص 64-65.

<sup>5</sup> - مدينة رشيد: وهي مدينة كبيرة على كثيب رمل عظيم، إذا هبت الريح الغربية، وهي تشتد عندهم، ملأت عليهم سلكهم وبيوتهم رملاً فلا يقدر على التصرف في أسواقهم. وهم على ضفة النيل قرب البحر. ينظر: مجهول (ت ق 6هـ)، الاستبصار في عجائب الأمصار، دار الشؤون الثقافية، د. ط، بغداد، 1986، ص 89.

<sup>6</sup> - الجامع الأزهر: يعتبر أول مسجد أسس بالقاهرة، على يد القائد جوهر الصقلي في عهد الخليفة الفاطمي المعز لدين الله، كمل بناؤه سنة 361 هـ / 972م، ينظر: المقرئ، الخطط، مصدر سابق، ج 1، ص 279.

الحسيني، ومقام الشافعي، ومنهم من يعود لبلاد المغرب الإسلامي ومنهم من يفضل الإقامة والاستقرار المؤقت أو النهائي بالبلاد المصرية.<sup>1</sup> كما سنوضح الإقامة وأنواعها في الفصل القادم .

ومن هنا يتبين دور العامل الديني في تواجد المغاربة بمصر خلال عصر المماليك، ولأهميته البالغة في توجيه حركة المغاربة للمشرق، أن بعض المغاربة لا يقنعون بحجة واحدة بل يزيدون، كما هو الحال مع نزيل الإسكندرية وقاضي المالكية بها: يحيى بن محمد الصنهاجي المولود سنة (667 هـ/1269م) الذي حج عشر حجج<sup>2</sup>. زيادة لأداء فريضة الحج كانت لمصر مكانة في نفوس المغاربة، لورود ذكرها في القرآن الكريم منها قوله تعالى في سورة يونس ﴿و أوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين﴾<sup>3</sup>، وكان بها الأنبياء: موسى ويوسف ويعقوب عليهم السلام، كما ذكرت في الأحاديث النبوية الشريفة، وبها أصهار النبي الكريم صلى الله عليه وسلم الأقباط؛ واستوصى بهم خيرا فقال صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه الحاكم في المستدرک عن كعب بن مالك: إذا فتحتم مصرا فاستوصوا بالقبط خيرا، فان لهم ذمة ورحما، كل هذا كان له دور في استقطاب المغاربة نحو مصر.<sup>5</sup>

ومن البواعث الدينية في تواجد المغاربة في المشرق الإسلامي عموما ومصر خصوصا مشاركة إخوانهم في الجهاد وتحرير المقدسات إذا عُرفت مصر والشام في تلك الفترة تكالب المغول والصلبيين على بلاد الإسلام.<sup>6</sup>

وذلك أن المغاربة كانوا مهرة في ركوب البحر ولديهم خبرة حربية مع الفرنجة، وما يدل على ذلك إسناد إليهم مناصب قيادية في معارك ضد الصليبيين، فتعيين إبراهيم التازي المغربي رئيس دار الصناعة بالإسكندرية أيام السلطان المملوكي الأشرف شعبان، وفي عهد الظاهر بيبرس أرسل أسطولا بحريا لغزوا جزيرة قبرص يقوده جمال الدين مكى ابن حسون سنة (669هـ - 1270م)، ومشاركة المغاربة في الجهاد مع المشاركة لم تقتصر على العهد المملوكي بل

<sup>1</sup> - عاشور منصورية، مرجع سابق، ص، ص 67، 70.

<sup>2</sup> - أبو العباس أحمد بابا التنبكي التكروري السوداني (ت 1036 هـ)، نيل الابتهاج بتطريز الدياج، تح علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، مصر 2004، ج2، ص 334.

<sup>3</sup> - سورة يونس، الآية 87.

<sup>4</sup> - ابن حبان، صحيح ابن حبان: تح: الارناؤوط مؤسسة الرسالة، رقم الحديث 6776 .

<sup>5</sup> - الحاج عيفة، مرجع سابق، ص 39 .

<sup>6</sup> - أحمد بن خيرة، دور المغاربة والأندلسيين في الحروب الصليبية ما بين القرن الخامس والتسع الهجري، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، تخصص مغرب وحضارته، إيش: شريفني أحمد، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2010-2011، ص 71 .

كانت سابقة لذلك، إذ استعان بهم الأيوبيون في جهادهم ضد الصليبيين، فكانوا ضمن جيوش صلاح الدين الأيوبي، وكانت لهم مكانة عالية لديه.<sup>1</sup>

## 2-2-العوامل السياسية:

شكلت الخلافة الإسلامية منذ العهد الراشدي، الرابطة التي تجمع شتات العالم الإسلامي تحت راية واحدة، وإن لم يكن كله فأغلبه، إلى غاية سقوطها على يد التتار ببغداد سنة (656 هـ/1258م) وقتل الخليفة العباسي المستنصر بالله، لتذكر المصادر أنه في رجب من سنة (659 هـ/1261م) حضر إلى القاهرة أحد أبناء البيت العباسي هو: الأمير أحمد بن محمد بن أحمد بن الحسن أبو القاسم بن الخليفة الظاهر العباسي، فاستقبله السلطان الظاهر بيبرس ومعه وزيره بماء الدين وقاضي القضاة تاج الدين ابن بنت الأعز، والعلماء والأعيان والشهود والمؤذنون حتى اليهود بتوراتهم، والنصارى بإنجيلهم والتجار وعمامة الناس؛ ومنهم العالم العز بن عبد السلام وكان يوماً مشهوداً، وبعد إثبات النسب، بايع القاضي الخليفة ثم بايعه السلطان ثم الشيخ العز بن عبد السلام، ثم من حضر المجلس من العلماء والأمراء والفقهاء ورجال الدولة، ولقب بالمستنصر بالله.<sup>2</sup>

وبإعلان الخلافة أضفى على حكم المماليك صبغة شرعية، وبهذا أصبحت القاهرة مركزاً للخلافة الإسلامية، والعاصمة الفعلية للعالم الإسلامي، في ظل تراجع إشعاع عواصم إسلامية سياسياً وثقافياً وفكرياً، مثل بغداد، وقرطبة والقيروان، وأصبحت مصر قطباً جاذباً للعلماء والمفكرين، ولم يقتصر الأمر على الوافدين من العالم الإسلامي بل حتى من الغرب المسيحي، فقد وصل لمصر عصر المماليك رحالة من أوربا المسيحية، ودونوا في رحلاتهم ما شاهدوه وسمعوه من عادات وتقاليد وأعمال وعمران وغيرها.<sup>3</sup> واكتسبت شهرة دينية وعلمية واسعة<sup>4</sup> يقول السيوطي " الإيمان والعلم يكونان مع الخلافة أينما كانت، فحين صارت مصر دار خلافة، عظم أمرها، وكثرت شعائر الإسلام فيها، وصارت محل سكُن العلماء، ومحط رحال الفضلاء"<sup>5</sup>

<sup>1</sup> - أحمد بن خيرة، مرجع سابق، ص-ص 144-145.

<sup>2</sup> - أحمد مختار العبادي، قيام دولة المماليك، مرجع سابق، ص، ص 161، 164.

<sup>3</sup> - نجاة الجويني، مرجع سابق، ص-ص 214-215.

<sup>4</sup> - عبد الرحمان بالأعرج، مرجع سابق، ص 69.

<sup>5</sup> - عبد الرحمان بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، حسن المحاضرة في تاريخ مصر و القاهرة، تح: محمد أبو فضل إبراهيم، دار إحياء الكتب، ط1، مصر، 1967، ج 2، ص 66.

كما شكل الأمن والاستقرار الذي وفره سلاطين المماليك في مصر أهم أسباب الجذب، وفي ذلك يقول البلوي: "قاعدة المشرق وأُمُّ المدائن ومقر الملوك ودار الطمأنينة، قد كَمَّلَ اللهُ حَضْرَتَهَا، وَجَمَّلَ نَضْرَتَهَا بِأَنْ قَلَدَ بِهَا أُمُورَ الْمُسْلِمِينَ، وَخَلَّدَ فِيهَا الْعِزَّوَالْتَمَكِينَ لِلسُّلْطَانِ... فَجَاءَتْ الدُّنْيَا فِي أَيَّامِهِ غَضَّةً، وَزَهْرَةً الْيَوْمَ بِحُجَّةٍ، وَانْسَدَلَ سِتْرُ الْعَافِيَةِ عَلَى الْمَلَأِ وَالْكَافَةِ وَالْأَقْطَارِ النَّازِحَةِ وَالْغَرِيبَةِ وَخُصُوصًا عَلَى هَذِهِ الْمَدِينَةِ"<sup>1</sup>

## 2-3- العوامل الاقتصادية:

قامت دولة المماليك بمصر و الشام منتصف القرن السابع هجري القرن الثالث عشر ميلادي، شهدت هذه الفترة ازدهار طريق البحر الأحمر وخمول ما عداه من الطرق التجارية الرئيسية الأخرى الرابطة بين الشرق والغرب، مع ازدياد نشاط الموانئ المصرية وخاصة الإسكندرية، فالاجتياح المغولي لآسيا الصغرى و بلاد فارس و الشام اضمحل معه طريق الصين البري، وضعف نشاط موانئ البحر الأسود، فاستغل سلاطين المماليك هذه الظروف ليؤدوا دور الوسيط بين تجار الغرب و الشرق.<sup>2</sup>

يقول الرحالة بنيامين الطلطي الأندلسي الذي زار مصر خلال القرن 6 هـ/12م عن الحركة التجارية بموانئ الإسكندرية " وإسكندرية بلدة تجارية فيها أسواق لجميع الأمم، يؤمها التجار من الممالك النصرانية كافة،... وتأتيها التوابل والعطور بأنواعها من الهند فيشتريها التجار"<sup>3</sup>.

كما تمتع المغاربة بمصر بحسن الاستقبال وكثير الاهتمام سواء من السلطة أو عامة المجتمع، و ذلك خلال الدولتين الأيوبية والمملوكية على السواء<sup>4</sup>، بالإضافة لتمتع مصر بخصائص طبيعية واقتصادية من وفرة المياه متمثلة في نهر النيل ووفرة الثروات الطبيعية، فضلا عن قربها من المشرق، ومن الأسباب التي شجعت المغاربة للتوجه لمصر امتهان التجارة فيها، ما شاع عن طريق الرحالة من أمنها ورحائها، وكثرة بنائها والتصاق عمرانها وفي هذا يقول الرحالة العبدري المغربي ( ت 700 هـ/1301م) عن وصفه لمصر " ما ظنك بأرض هي مسرى شهر للمجد، وطبيعة سهلة مغلة، ما

<sup>1</sup> - أبو البقاء خالد بن عيسى البلوي، (ت بعد 767هـ)، تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، د.د.ن، د.ط.د.ب، د.س، ص32.

<sup>2</sup> - سعيد عبد الفتاح عاشور، العصر المماليكي، مرجع سابق، ص-ص 298-299.

<sup>3</sup> - نواف عبد العزيز الجحمة، صورة الغبراء المغاربة في مصر و الشام عصر الحروب الصليبية، مجلة دعوة الحق، ع 40، جامعة دمشق، سوريا، 2011 ص 65.

<sup>4</sup> - نفسه، ص 55.

بها قرية وإلا تناظر أخرى، ولا بستان إلا وهو يسامي آخر، ولا مدينة إلا وهي تشير لأختها، ما تسافر بها إلا في عمارة متصلة، وطمانينة من الأرض متأصلة، فضلا عما يتصف به نهر النيل الذي يعد من عجائب الدنيا<sup>1</sup>

وهناك مثال يتجلى فيه مساعدة المماليك للمغاربة من الجانب التجاري فيذكر ابن تغري بردي " أن السلطان الناصر فرج رسم سنة (814 هـ / 1412 م) أن يؤخذ من تجار المغاربة العشر و كان يؤخذ منهم الثلث<sup>2</sup>

أما الجانب الصناعي فقد كانت مصر عصر سلاطين المماليك دولة صناعية بامتياز، وخاصة الصناعة الحربية من سفن، وأنواع أسلحة ومعدات حربية، وكيف لا وقد كانت هذه الدولة دولة حرب وجهاد إماما ضد التتار ناحية المشرق أو ضد الصليبيين من الغرب وأوربا، زيادة على أن سلاطينها كانوا يمثلون طبقة حربية عسكرية، هذا إلى جانب الصناعات المدنية من صناعة المنسوجات والمعادن وصناعة الزجاج والخشب والجلود، جعلها ميدان استقطاب وجذب لأصحاب المهن والحرف والصنعة من مختلف أقطار العالم عموما وأهل الغرب الإسلامي خصوصا.<sup>3</sup>

وقد ساهم سلاطين المماليك في إعطاء الصورة الحسنة لبلاد مصر من خلال التشجيع في المجال الاقتصادي بمختلف مجالاته، سواء بسن القوانين أو بتشديد المنشآت، أو بإصدار الأوامر بحسن معاملة التجار الأجانب من المشرق أو المغرب، وملاطفتهم وإرضائهم، و في ذلك يورد القلقشندي بعض الرسائل الصادرة من سلاطين المماليك لناظر ثغر الإسكندرية بحسن معاملة التجار الواردين بالعدل و الرفق<sup>4</sup>، فعجت الإسكندرية-مركز النشاط الاقتصادي بمصر المملوكية- بالتجار من مختلف الأقطار، فذكر البلوي المغربي في رحلته أن بها " أناسا كثيرين من مختلف الأجناس<sup>5</sup>

هذا ويعتبر التبادل التجاري بين القطرين الغرب الإسلامي ومصر قديمة ومتأصلة، وأول منزل ينزله المصريون ببلاد المغرب الإسلامي برقة، فهي لا ينقطع عنها التجار والعابرين مشرقين أو مغربيين، حيث يتزود منها المصريون

<sup>1</sup> - محمد العبدري البلنسي، رحلة المغربية، مؤسسة بونة للبحوث والدراسات، ط1، عنابة، الجزائر، 2007، ص 312.

<sup>2</sup> - ابن تغري بردي، مصدر سابق، ج 13، ص 128.

<sup>3</sup> - سعيد عبد الفتاح عاشور، العصر المماليكي، مرجع سابق، ص 298.

<sup>4</sup> - القلقشندي، مصدر سابق، ج 11، ص 461.

<sup>5</sup> - سعيد عبد الفتاح عاشور، العصر المماليكي، المرجع السابق، ص 301.

بالجلود للدباغة، وليس برقة وحدها بل مختلف حواضر ومدن المغرب الإسلامي كحال مدينة صفاقس التي يكثر بها الزيت ويقل ثمنه، ومدينة قابس وإنتاجها للجلود الرفيعة فيستجلبها أهل مصر.<sup>1</sup>

فاغتربت مصر أهم المناطق في المجال الاقتصادي استهوت المغاربة و خاصة الأندلسيين منهم خلال عصر الدولة المملوكية نتيجة ما عانوه من ضيق العيش و سبل الحياة بالمغرب و الأندلس.

## 2-4- العوامل الفكرية و الثقافية:

أصبحت مصر عصر سلاطين المماليك ميدانا علميا واسعا، ونشاطا فكريا يجذب العلماء في مختلف أصناف العلوم ومن شتى أقطار العالم الإسلامي، فقد زار الرحالة البلوي المغربي مصر سنة (737هـ/1336م) فأبدى إعجابه الشديد بالنشاط العلمي الكبير في البلاد، وقال " إن مصر منبع العلم "<sup>2</sup>، والدليل عليه ذلك التراث العلمي الضخم من موسوعات أدبية، ومؤلفات تاريخية وكتب في مختلف العلوم الدينية، خلّفها علماء ذلك العصر، وقد ربط السيوطي ازدهار الحركة العلمية وقوة نشاطها عصر سلاطين المماليك بإحياء الخلافة العباسية في القاهرة سنة (659 هـ/1261م)، بعد سقوطها في بغداد سنة (656 هـ/1258م) وقال "عَدت هذه البلاد محل سُكن العلماء، ومحط رحال الفضلاء"<sup>3</sup> وأصبح العلماء من الشام وبلاد المغرب الإسلامي يهاجرون لمصر، ويتخذونها محلا لإقامتهم ونشاطهم العلمي.<sup>4</sup>

ومما جعل مصر منارة للعلم ومحورا للنشاط الثقافي ما تعرّض له العالم الإسلامي في القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي من نكبات على أيدي التتار بالعراق والشام والمسيحيين بالأندلس.<sup>5</sup>

وما كان هذا النشاط العلمي يشهد ازدهارا عصر المماليك لولا تشجيع الأمراء والسلاطين، فكان السلطان الظاهر بيبرس يميلوا للعلم والعلماء عامة، وعلم التاريخ خاصة، ويقول: "سمع التاريخ أعظم من التجارب"، و غدى الجامع الأزهر قبلة لطلاب العلم من شتى أنحاء العالم الإسلامي، ومنهم المغاربة، وقام السلاطين والأمراء بإنشاء المؤسسات التعليمية من مساجد ومدارس ومكتبات، كالمدرسة الظاهرية التي أنشأها الظاهر بيبرس سنة (659هـ/1261م)

<sup>1</sup> - ابن حوقل ، مصدر سابق، ص 69.

<sup>2</sup> - البلوي، مصدر سابق، ص 45.

<sup>3</sup> - السيوطي، مصدر سابق، ج 2، ص 76.

<sup>4</sup> - سعيد عبد الفتاح عاشور، العصر المماليكي، مرجع سابق، ص 342.

<sup>5</sup> - سعيد عبد الفتاح عاشور، المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، دار النهضة العربية، د.ط، القاهرة، 1992، ص 157.

وألق بها خزانة كتب قيمة تشمل مجموعة كتب جلييلة في مختلف العلوم، وأنفق السلاطين على هذه المؤسسات ومن فيها من مدرسين وطلاب وموظفين.<sup>1</sup>

ومن كثرة المدارس التي شيدت عصر سلاطين المماليك يقول القلقشندي " أن هؤلاء السلاطين بنوا من المدارس ما ملأ الأخطاط وشحنها"<sup>2</sup> ويقول ابن بطوطة " أنه لا يحيط أحد بحصرها لكثرتها"<sup>3</sup>

وعن مكانة مصر العلمية عصر سلاطين المماليك يدلي ابن خلدون شهادته بقوله " واختص العلم بالأمصار الموفورة الحضارة، ولا أوفر اليوم في الحضارة من مصر، فهي أم العالم، وإيوان الإسلام، وينبوع العلم والصنائع"<sup>4</sup>

كما قام سلاطين المماليك بتشييد وبناء الزوايا والرباطات والخانقاه<sup>5</sup>، وكانت هذه المراكز تستقبل الفقراء والمحتاجين والمحتاجين وماوى المتصوفة وبها ما يحتاجونها من متطلبات العيش؛ من خبز ولحم، والحلوى، ومنها على سبيل المثال خانقاه ركن الدين بيبرس الجاشنيكيري المنصوري كان يضم أربعمائة صوفي.<sup>6</sup>

رغم الأسباب والدوافع التي جعلت المغاربة ينتقلون من أوطانهم إلى بلدان المشرق الإسلامي ومصر المملوكية بالخصوص، لا بد أن نؤكد على أن الفرد المغاربي عزيز عليه وطنه ومحب له ومتعلق به، ففيه ولد وعلى أرضه ترعرع و من خيراته أكل، فبقي مشتاق له وصورته في ذاكرته ترافقه أين ما ذهب.

<sup>1</sup> - سعيد عبد الفتاح عاشور، المجتمع المصري، مرجع سابق، ص- ص 147-148.

<sup>2</sup> - القلقشندي، مصدر سابق، ج 3، ص 367.

<sup>3</sup> - أبو عبد الله، محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي ابن بطوطة (ت 779هـ)، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، أكاديمية المملكة المغربية، د.ط، الرباط، 1997، ج 1، ص 70.

<sup>4</sup> - ابن خلدون، مصدر سابق، ص 278.

<sup>5</sup> - الخانقاه: بقعة يسكنها أهل الصلاة والخير، والصوفية، والنون مفتوحة، معرب: فانه كاه، قال المقرئ: وقد حدثت في الإسلام في حدود الأريماة، وجعلت لمنخلى الصوفية فيها لعبادة الله تعالى، ينظر: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، 2001، ج 25، ص 270.

<sup>6</sup> - حمزة حماة، إسهامات المماليك في الحركة العلمية ودورهم الاجتماعي في المشرق العربي (648هـ - 923هـ / 1249-1517م)، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، ع 16، جامعة الوادي، جوان 2016، ص 64.

## الفصل الثاني

المغاربة أصولهم وأماكن إستقرارهم بمصر المملوكية  
(648-923هـ / 1250-1517 م)

المبحث الأول: أماكن الاستقرار - التوزيع الجغرافي -

المبحث الثاني: أصولهم و ألقابهم

المبحث الثالث: أنواع الإقامة

## المبحث الأول: أماكن الاستقرار ( التوزيع الجغرافي )

نظرا لعوامل الطرد والجذب التي بيّناها في الفصل الأول من البحث، انتقل المغاربة من الغرب الإسلامي بمختلف أقاليمه إلى مصر قبل وأثناء فترة الدراسة، في شكل فرادى أو جماعات، فاستوطنوا المدن والأرياف، في حين آخرو فضل بعضهم حياة الترحال والتجوال، ولدراسة وإعطاء صورة متكاملة عن أوضاعهم الاجتماعية، يتحتم على الدارس أن يتتبع أماكن انتشارهم، ومواطن استقرارهم بمصر خلال عصر سلاطين المماليك. فتواجد المغاربة بأرض الكنانة وانتشارهم على مختلف أرجائها من أطراف الدلتا شمالا إلى الصعيد جنوبا ومن برقة غربا إلى الصحراء الشرقية والبحر الأحمر شرقا، متخذين من المدن والرباطات والزوايا والصحاري مستقرا لهم.

## 1- مجال الحواضر و المدن

## 1-1- القاهرة

تُعتبر القاهرة أولى المدن التي عرفت تواجد واستقرار المغاربة بمصر، منذ دخول الجيوش الفاطمية بقيادة جوهر الصقلي سنة ( 358 هـ / 968 م )، فشارك العديد من المقاتلين في جيشه من عدة قبائل بربرية مثل: كتامة ولواتة ومزاتة وزنارة وهوارة ومغيلة وعمارة ونفوسة، وحُصّصت لهم حارة<sup>1</sup> عرفت بحارة كتامة غير بعيد عن الجامع الأزهر، أما في العهد الأيوبي فكانت قبيلة زويلة أشهر القبائل التي استوطنت مصر ولهم حارة عُرفت باسمهم: حارة زويلة.<sup>2</sup>

فسكن المغاربة بعدة حارات نذكر منها :

- حارة زويلة: وهي إحدى الحارات بالقاهرة، كان بها المغاربة، أنزل بها القائد جوهر الصقلي أهل زويلة فسُمّيت بذلك، و لها بابان؛ باب بدر الجمالي، وباب زويلة الكبير.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - الحارة هي مجموعة من البيوت، يقيم بها مجموعة من السكان المعينين، بها منازلهم وأسواقهم ومسجدهم ومدارسهم، أي أنها بمنزلة الإحياء في الوقت الحالي، ينظر : عاشور منصورية، مرجع سابق، ص 105.

<sup>2</sup> - خالدة سلمان، شوكت عارف محمد الاتروشي، التركيبة الاثنية للمجتمع المصري خلال العصر الأيوبي، مجلة جامعة زاخو، د.ب، ع 1، مج 1، 2013، ص 332.

<sup>3</sup> - المقرئزي، الخطط، مصدر سابق، ج3، ص 405.

- حارة الباطلية: استقر بها طائفة من المغاربة، وسميت بهذا الاسم، أن قاطنيها من أهل الغرب الإسلامي جاؤوا للمعز يطلبون العطايا فقبل لهم: انه فرغ منها، فقالوا: رحنا في الباطل.<sup>1</sup>

- حارة كتامة: وهو المكان الذي استقرت فيه قبيلة كتامة أول مرة عند دخولها مصر مع المعز الفاطمي، بأمرائها وشيوخها وعلمائها مع أسرهم و ذويهم.<sup>2</sup>

- حارة الحمزاويين: موضع نزل به المغاربة من منطقة سوق حمزة بالمغرب الأوسط " البويرة حاليا " كبقية القبائل المغربية التي توافدت على مصر، وقد أرخت هذه الحارات لتاريخ المغاربة بمصر منذ العهد الفاطمي، لتمتد للعصر المملوكي، بل زاد فيها المغاربة منشآت ثقافية ودينية.<sup>3</sup>

كما عُرف الأزهر الشريف بالقاهرة كمكان لاستقرار الطلبة المغاربة، وخاصة في العهد المملوكي الذي بدأ فيه ما يعرف بنظام الأروقة<sup>4</sup>، حيث استفاد فيه الطلبة من دعم مالي كبير من المغاربة القاطنين بالقاهرة، أو المدن الأخرى وخاصة الميسورين منهم من فئة التجار، كما أُحرقت عليهم الأوقاف حتى من المغاربة المقيمين بالغرب الإسلامي وسلاطينهم.<sup>5</sup>

## 1-2- الإسكندرية

تداخلت عدة عوامل في استقرار المغاربة بالإسكندرية، يرجع أهمها للعامل التجاري، فالإسكندرية تعتبر أهم الثغور والموانئ على البحر المتوسط، وهمزة الوصل بين التجارة المشرقية والمغربية و أوربا، ثم موقع المدينة على طريق الحج، فيختار العديد من حجاج المغاربة التخلف بها عند العودة من أداء الفريضة، وبذلك تجذبهم عوامل الجذب التي ذكرناها سابقا، فيفضّل بعضهم الاستقرار و المقام، وهناك عامل ثالث جعل منها موطن استقرار المغاربة بمختلف

<sup>1</sup> - المقرئزي، الخطط، مصدر سابق، ج 3، ص 312.

<sup>2</sup> - عبد الله محمد جمال الدين، الدولة الفاطمية قيامها ببلاد المغرب و انتقالها لمصر إلى نهاية القرن 4 هـ، دار الثقافة، ط1، 1991، ص 201 .

- المقرئزي، الخطط، المصدر السابق، ج 3، ص 426.

<sup>3</sup> - عاشور منصورية، مرجع سابق، ص 106.

<sup>4</sup> - الأروقة: مفرد رواق وهو: في اللغة يعني مقدمة البيت، أو الجناح الأرضي منه، وفي الاصطلاح المعماري: جناح بالمسجد الجامع مخصص للدراسة، به غرف لسكنى الطلبة، ينظر: توفيق محمد لقبابي، جوانب من تاريخ رواق المغاربة بالأزهر الشريف خلال العهد العثماني بمصر ( 1517 - 1798 م)، مجلة ضفاف للعلوم الإنسانية، جامعة مراكش، المغرب، ع 5، 2020، ص 114.

<sup>5</sup> - نفسه، ص 119 .

فئاتهم و أصول مواطنهم وهو الهجرة الأندلسية، فكثير من الأندلسيين بعد النزوح لأقاليم المغرب الإسلامي والبقاء فيه مدة، توجهوا شرقاً نحو مصر و خاصة الإسكندرية، فشكّلوا فئة مهمة من المغاربة بها فنجد فيها: حارة المغاربة، عطفة المغاربة، شارع المغربي، سوق المغاربة.<sup>1</sup>

فتواجد المغاربة بالإسكندرية منذ القرن 4 هـ/10م زمن الدولة الفاطمية وما خلفته من علاقات بين مصر والمغرب الإسلامي، ليزداد أعداد الوافدين وبشكل ملحوظ نهاية الفاطميين وبداية العهد الأيوبي، لما يتميز به المغاربة من عدم التمسك بالمذهب الشيعي، و التمسك بالمذهب المالكي السني، فوجدوا في سقوط الفاطميين الفرصة والحرية المذهبية، فتوافدوا على مدينة الإسكندرية، ليتواصل هذا القدوم فيعرف الذروة في عصر سلاطين المماليك للأسباب المذكورة آنفاً، و لكونها رباط جهاد و ثغر من الثغور فامتألت الأربطة في المدينة بالعلماء والزهاد وطلبة العلم من المغاربة لاعتقادهم بأنّ الإقامة بالرباط نوع من أنواع الجهاد، فاتخذوها موطناً ومقر إقامة.<sup>2</sup>

هذا وتوزع المغاربة بشكل واسع بالمدينة من خلال الشوارع والأحياء التي استوطنوها، ولهم بها عقارات، وأوقاف، مع مرور الزمن ونهاية العصر المملوكي وبداية وخلال العهد العثماني أصبحت الجالية المغاربية بالإسكندرية لها دورها وتفاعلها في الحياة من جميع النواحي؛ السياسية والاقتصادية، والثقافية والاجتماعية.<sup>3</sup>

و ما إن انتهت دولة المماليك حتى اكتمل تكوين الجالية المغربية بمصر وأصبح لها ثقلها ووزنها، وأصبح يُحسب لها حسابها، ودليل ذلك أنه في عهد آخر سلاطين المماليك طومان باي عندما أراد ملاقاتة سليم العثماني سنة (923 هـ / 1517م) بعث للمغاربة؛ فمنهم من استحباب ومنهم من رفض، وردوا عليه بقول " نحن ما لنا عادة بسفر، وإذا سافرنا نسافر لقتال الإفرنج، وأما المسلمون ما نقاتلهم " <sup>4</sup>

<sup>1</sup> - عبد الرحيم عبد الرحمان عبد الرحيم، المغاربة في مصر خلال العهد العثماني ( 1517 - 1798 م )، المجلة التاريخية المغربية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، تونس، د.ط ، 1982، ص 57 .

<sup>2</sup> - عاشور منصورية، مرجع سابق، ص 120 .

<sup>3</sup> - عبد الرحيم عبد الرحمان عبد الرحيم، المرجع السابق، ص 58 .

<sup>4</sup> - ابن اياس، مصدر سابق، ج5، ص 134 .

وبالتالي رفضوا قتال إخوانهم المسلمين من الأتراك وقالوا: إننا مجندون للكفار، وعندما انتقل حكم مصر للعثمانيين أدرك السلطان سليم أهمية التنظيمات المغاربية وخطورتها ولذلك من بين الفئات التي أرسلها لإسطنبول ( أعيان تجار المغاربة)، وهذا يشير للعدد و التنظيم الذي وصل إليه المغاربة بمصر أواخر عصر سلاطين المماليك.<sup>1</sup>

### 1-3 - مدن أخرى

إضافة للقاهرة والإسكندرية، استقر المغاربة بمدن مصرية أخرى، ك: طنطا التي بها مسجد أحمد البدوي، وقنا التي تقع على الضفة الشرقية موطن عبد الرحمان السبتي القنائي، ويعدّ من أبرز العلماء حيث تزوج وعاش حتى وفاته بها، أما بجرجا فقد استوطنت قبيلة هواره المغربية القادمة من طرابلس، ثم قوص فقد كانت محطة رئيسية للحجاج المغاربة المتجهين لجدّة عبر صحراء عيذاب، وبرز في البهنسا في المنيا علماء منهم القرافي شيخ المالكية في عصره؛ أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس الصنهاجي البهنسي ( ت 684 هـ / 1285 م)، وفي مرسى مطروح انتشرت زوايا الطريقة السنوسية، كما تحمل الدهليزية اسما تاريخيا يعرف بالمرتاحية، ويعود ذلك لمجموعة من المغاربة الذين قدموا مع جوهر الصقلي، واشتغلوا الزراعة بها، وفي واحة سيوة كانت بها قرية صغيرة يقطنها مجموعة من البربر على حد قول البكري.<sup>2</sup>

### 2- خارج المجال الحضري

إنّ التواجد والاستقرار المغربي بمصر خلال فترة البحث لم يكن مجاله الحواضر فقط، بل تعدى ذلك و تجاوز لانتقال قبائل كلها إلى الأرياف والصحاري المصرية، بحكم الجوار، و خاصة بين برقة ومصر فتحوّلت البحيرة إلى منطقة استقرار القبائل الأولى، بحكم موقعها فهي الأقرب لبلدان المغرب الإسلامي والمعبر الأول والرئيسي للدخول لمصر، فاستقرت بها قبائل: زناتة ومزانة وهواره ودنانة، هذه القبائل بعد زمن تحركت شرقا نحو الصعيد كقبيلة هواره.<sup>3</sup>

قبيلة هواره التي كانت تقيم بالبحيرة خلال عصر سلاطين المماليك، ثم انتقلت واستوطنت الصعيد في عهد السلطان المنصور علي بن شعبان (778-783 هـ / 1376 - 1381 م) و ذلك سنة (782 هـ / 1380 م)، بسبب صراعات بينها وبين قبائل عربية أخرى، واشتغلت هواره في زراعة الأرض، وصناعة السكر، و كثر عندنا

<sup>1</sup> - عبد الرحيم عبد الرحمان عبد الرحيم، مرجع سابق، ص 49.

<sup>2</sup> - الحاج عيفة، مرجع سابق، ص 300.

<sup>3</sup> - ابن اياس، مصدر سابق، ج3، ص12.

الأموال، ويسطت نفوذها على الصعيد كله سنة (815 هـ / 1412 م)، وكان منهم أولاد عمر وأولاد غريب، كما قاموا بثورات ضد المماليك بسبب سياسة السلاطين التعسفية، منها ثورة بقيادة يونس بن عمر سنة (882 هـ / 1477 م)، وقد أعطتهم الدولة المملوكية إمارة الصعيد، وبقي الأمر إلى نهاية عهدها، ثم أقر العثمانيون قبيلة هواره على إمارة الصعيد إلى غاية سنة 983 هـ/1576 م.<sup>1</sup>

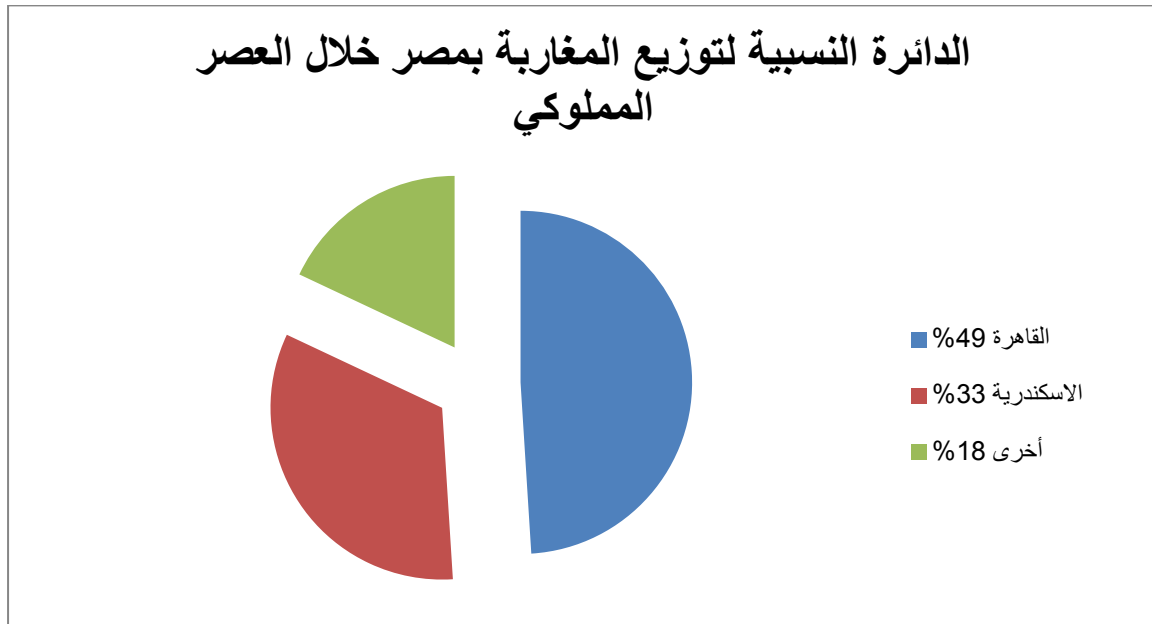
ولتوضيح نسبة استقرار المغاربة على مختلف المدن والحواضر المصرية، قمنا بإحصاء عدد الشخصيات المغاربة المذكورة في البحث، وكان عددهم 115 شخصية، تواجد 56 منهم بالقاهرة، بينما استقرت 38 شخصية بالإسكندرية، ليتوزع البقية على مختلف مدن وقرى مصر الأخرى، وهو ما يبينه الجدول الآتي:

أماكن استقرار الشخصيات المذكورة في البحث في مصر خلال العصر المملوكي

عدد الشخصيات المذكور في البحث	المستقرين في القاهرة	المستقرين في الإسكندرية	مناطق أخرى
115	56	38	21
النسبة	%49	%33	%18

جدول رقم 1: أماكن استقرار الشخصيات المذكورة في البحث في مصر خلال العصر المملوكي

من إعداد أصحاب البحث



<sup>1</sup> - محمود السيد، تاريخ القبائل العربية في عصر الدولتين الأيوبية و المملوكية، مؤسسة شباب الجامعة، ط1، الإسكندرية، 1998، ص 51.

تعداد المغاربة المستقرين بمصر المذكورين في البحث ونسبة توزيعهم 115 / 100 %، وتؤخذ هذه النسبة كعينة للدراسة.

وبحسب نسبة التوزيع نجد القاهرة الأكثر جذباً لإقامة المغاربة، بنسبة 49% لاعتبارات سياسية وإدارية وثقافية علمية، فيما تأتي الإسكندرية ثانية بنسبة 33% وهي نسبة معتبرة لعوامل تاريخية واقتصادية وجغرافية، ليتوزع بعدها المغاربة في مختلف المناطق من المدن والقرى المصرية، على غرار طنطا، وقوص والبهنسا وغيرها.

### المبحث الثاني: أصولهم و أهم الألقاب

استقبلت مصر خلال في عهد سلاطين المماليك العديد من الأعراق من مختلف أقطار العالم الإسلامي، ونظراً لغياب الحدود الجغرافية بالمفهوم الحالي، تواجد المغاربة كغيرهم من الوافدين على مصر، ومن هنا جاءت الإحالة التاريخية لشخصيات المغاربة وخاصة المؤثرة سواء في الوسط الثقافي أو السياسي، بذكر النسب للقبيلة أو البلد، فالأسماء والألقاب تعطي دلالات عن التنوع الإقليمي، وكذلك إظهار المكانة والنشاط، من خلال ما سبق تعددت ألقاب وأصول المغاربة بمصر خلال عصر سلاطين المماليك.<sup>1</sup>

### 1- من افريقية ( المغرب الأدنى )

التونسي:

تعتبر تونس مركزاً مرموقاً للعلم والمعرفة في بلاد الغرب الإسلامي، وقد أخرجت العديد العلماء البارزين والفضلاء الذين تركوا بصمات واضحة في مختلف فروع العلوم، ومن بين هؤلاء الذين وفدوا على مصر في العهد المملوكي، محمد بن أحمد بن داود بن سلامة، المعروف بابن زغدان الزلطني التونسي (820-882هـ). حفظ القرآن ودرس القراءات واللغة العربية والفقهاء. قدم القاهرة عام 842 هـ، وتأثر بالتصوف ومفاهيم ابن عربي. أصبح شخصية بارزة في المشيخة الصوفية، وله مؤلفات عديدة في التصوف والشعر، منها "مواهب المعارف" و"سلاح الوفاة" ورسالة "قوانين حكم الإشراق".<sup>2</sup>

<sup>1</sup> - عاشور منصورية، مرجع سابق، ص 126.

<sup>2</sup> - السخاوي، مصدر سابق، ج، ص 66.

وفي مجال الخطط الإدارية والقضاء، نجد محمد بن أبو القاسم بن عبد السلام أبوعبد الله التونسي (ت715 هـ/1257م)، الذي أظهر كفاءة إدارية والتزامًا بالعدل عندما تولى مسؤوليات مختلفة، منها نيابة الحكم بالحسينية في القاهرة، وقضاء الإسكندرية عام (709 هـ/1310م). وعلى الرغم من تنحيته عن منصبه الأخير، إلا أن عودته إلى القاهرة كانت بمثابة مكسب لأهل العلم، حيث التفوا حوله وتعلمد على يده نخبة من علماء القاهرة. كان إمامًا ومفتيًا وفتيًا ومفسرًا بارعًا، وله مؤلف بعنوان "مختصر التفريغ"<sup>1</sup>.

بعيدًا عن الأوساط العلمية الرفيعة، نجد تونسيًا آخر يعمل في مجال التجارة ونقل الركاب، وهو عبد الله التونسي. يذكره ابن بطوطة بأنه كان في مدينة جدة عام (732 هـ/1332م)، يمتلك مركبًا خاصًا به، ينقل المسافرين من جدة إلى منطقة الفسيفر التابعة لمدينة قوص المصرية.<sup>2</sup>

كما نشير إلى محمد بن عبد الرحمن التونسي (ت870 هـ/1466م)، الذي حاول كسب رزقه من التجارة في مدينة دمياط، ولكنه على ما يبدو لم ينجح في هذا المجال، مما اضطره إلى التحول إلى عمل آخر أقل شأنًا وظل عليه حتى وفاته.<sup>3</sup>

وفي التصوف والولاية، برز أبو المواهب شرف الدين محمد بن أحمد التونسي (ت882 هـ/1477م)، الذي يعود أصله إلى تونس. ألف هذا الشيخ في الموشحات الربانية، وله كتابان هما "القانون في الطائفة" و"الأذكياء في أخبار". قدم إلى القاهرة وتوفي بها.<sup>4</sup>

إضافة إلى التونسي نجد ألقابا أخرى مثل التوزري، فنذكر فخر الدين التوزري (ت 713 هـ/ 1313 م)، رحل إلى الحج واستقر بمصر، والقفصي فنذكر شرف الدين التيفاشي (ت 651 هـ/ 1253 م) ن من تيفاش بقصفة التونسية، ومن صفاقس ابن المقدسية أبو بكر التميمي الصفافسي (ت654 هـ/1256 م، تولى خطة قضاء المالكية بالاسكندرية.<sup>5</sup>

<sup>1</sup> - ابن حجر، الدرر الكامنة، مصدر سابق، ج4 ص244.

<sup>2</sup> - ابن بطوطة، مصدر سابق، ج1، ص281.

<sup>3</sup> - نفسه، ص-ص 44-45.

<sup>4</sup> - محمد بن محمد بن قاسم مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 2003، ج1، ص 373.

<sup>5</sup> - نجاة الجويني، مرجع سابق، ص-ص 214-215 .

## 2- من المغرب الأوسط

التلمساني:

انطلاقاً من مكانة تلمسان المحورية في المغرب الأوسط كحاضرة للعلم والمعرفة، نبغ منها علماء كثر شدوا الرحال نحو المشرق واستقروا فيه، حيث كان لمصر خلال عصر سلاطين المماليك نصيب وافر من إقامتهم. انخرط هؤلاء العلماء في مجالات متنوعة، ومن بينهم يحيى بن محمد بن موسى أبو زكريا التحجبي التلمساني (ت 652هـ/1254م) الذي استقر بالإسكندرية وأثرى طلاب العلم بعلمه الغزير، خاصة في تفسير القرآن الكريم، وظل مقيماً بها حتى وفاته.<sup>1</sup>

وفي المقابل، لمع عالم آخر من تلمسان في مصر ودمشق، حيث جمع بين العطاء العلمي والخدمة والتنقل بينهما. إنه ابن أبي حجلة التلمساني (ت 778هـ/1376م) أحمد بن يحيى بن أبي بكر التلمساني أبو العباس شهاب الدين، كان أديباً وشاعراً من تلمسان، ثم سكن دمشق وتولى مشيخة الصوفية في القاهرة، حيث وافته المنية بالطاعون. كان حنفي المذهب مع ميل للحنابلة، وترك خلفه إنتاجاً علمياً ضخماً شمل أكثر من ثمانين مؤلفاً في الفقه واللغة والتصوف، بالإضافة إلى أعمال أدبية مثل "منطق الطير" و"ديوان الصبابة" و"سكر دان السلطان".<sup>2</sup>

كما كان لابن مرزوق التلمساني محمد بن أحمد (ت 781هـ/1380م) حضور وتأثير ملحوظ في القاهرة منذ قدومه واستقراره بها حتى وفاته. وبفضل كفاءته ومشاركته في الشؤون السياسية والإدارية، كُلف بمناصب القضاء والخطابة في العديد من مساجد القاهرة. ومن أبرز مؤلفاته كتابه "المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن".<sup>3</sup>

الزواوي:

لم تكن قبيلة زواوة بمنأى عن المشاركة الفاعلة في بناء الحضارة الإسلامية في المغرب وغيره من المناطق. فقد انطلق أبناؤها في رحلات لطلب العلم، مروراً بمراكز علمية مثل بجاية، ثم التوجه نحو الشام أو مصر، و في مصر تحديداً، لم ينغلق أفراد هذه القبيلة على هويتهم المغاربية، بل أظهروا انفتاحاً على الثقافة العربية وتذوقوا جمال لغتها، ليلغوا فيها

<sup>1</sup> - محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت 748 هـ)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تح: عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط 1، بيروت، 2003، ج 1، ص 140.

<sup>2</sup> - شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ التلمساني (ت 1041 هـ)، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، دار صادر، ط 1، بيروت، لبنان، 1997، ج 7، ص 395.

<sup>3</sup> - إبراهيم بن محمد المالكي بن فرحون (ت 799 هـ)، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، تح: محمد الأحمد أبو النور، دار التراث، د ط، القاهرة، 1972، ج 3، ص 290، 292.

مراتب الإبداع. ويُعد يحيى بن معطي الزواوي (ت 628 هـ/1231 م) مثالاً بارزاً على ذلك. هذا العالم، الذي نشأ في آيت فرساون الزواوية وتفقه على المذهب المالكي في بداياته، انتقل إلى مصر واعتنق المذهب الحنفي. سرعان ما تبوأ مكانة مرموقة في تدريس النحو في جامع عمرو بن العاص، ثم رحل إلى دمشق حيث استفاد من علمه الكثيرون وتولى مسؤوليات علمية وإدارية في الجامع الأموي، وعند عودته إلى مصر بطلب من الملك الكامل، استأنف تدريسه في الجامع العتيق، ليصبح له تلاميذ نبهاء كالحافظ المنذري صاحب كتاب "الترغيب والترهيب"، كما ألف ابن معطي كتابه الشهير في النحو "الألفية".<sup>1</sup>

و من ألقاب زواوة بمصر المملوكية أيضاً نجد شرف الدين عيسى بن مسعود بن منصور بن شرف الدين الزواوي (ت 743 هـ/1326 م)، والذي تميز بسيرة حافلة بالاجتهاد والمثابرة. بعد تحصيله العلوم الأولية في موطنه، توجه إلى بجاية ومكث فيها عشرين عاماً للتفقه. شغفه بالعلم دفعه للارتحال إلى المشرق، فزار مصر والإسكندرية ودمشق والخليل. فكان في دمشق يجمع بين نيابة القضاء والإفتاء في المسجد الأموي. ولكنه آثر العودة إلى مصر ليستقر قرب أسرته. هناك، وبفضل ما اكتسبه من علم وخبرة، أهله ذلك ليكون مفتياً ونائباً للقاضي تقي الدين الأحنائي. إلا أنه فضل التنفرغ للتدريس والتأليف على الوظيفة الرسمية، فكان له إسهام كبير في حلقات جامع الأزهر، وتولى مشيخة الزاوية المالكية، وجلس لتدريس في مؤسسات علمية أخرى كالناصرية والصالحية.<sup>2</sup>

إلى جانب إسهامات النخبة من أبناء قبيلة زواوة في مجالات العلم والمعرفة، كان هناك حضور ملحوظ لإحدى أسرهم المغربية في مدينة القاهرة خلال القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي في مجال حيوي آخر يخدم المجتمع، وهو صناعة القبان.<sup>3</sup> حيث تعد صناعة القبان من الحرف الأساسية التي تلبى حاجة المجتمع إلى أدوات دقيقة لوزن مختلف المواد، وخاصة المحاصيل الزراعية في الأسواق التجارية. وقد اشتهر في هذه الصناعة شعبان بن علي بن أحمد المغربي الزواوي القباني (ت 895 هـ/1490 م). الذي ورث هذه الصنعة أباً عن جد، حيث تعلمها عن والده وأخيه. وبفضل مهارته وإتقانه، استطاع تطوير هذه الحرفة والارتقاء فيها ليصبح شيخاً ورئيساً للصناع، بل والمرجع المعتمد لحل أي نزاعات تنشأ بينهم.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> - السخاوي، مصدر سابق، ج2، ص533.

<sup>2</sup> - ابن تغري بردي، مصدر سابق، ج6، ص341.

<sup>3</sup> - القبان: هو ميزان ذو ذراع طويلة، به ثقل ينزل على تدريج في الذراع الأطول لتقدير الأوزان، ينظر: ابن منظور، مصدر سابق، ج6، ص176.

<sup>4</sup> - السخاوي، المصدر السابق، ج3، ص300.

القسنطيني:

شهد تاريخ الغرب الإسلامي ظهور قسنطينة كمدينة للعلم و العلماء، فكان من لقب القسنطيني نصيب من المغاربة الوافدين و المستقرين بمصر خلال فترة الدراسة، ومن بين هؤلاء العلماء، نذكر سالم بن عبد الله بن سعادة بن طاجين القسنطيني، الذي اختار الإسكندرية مستقرًا له، ولازم فيها القاضي العلامة برهان الدين بن جماعة. وقد أظهر سالم براعة فائقة في شتى فروع العلم، وأصبح مقصدًا للعلماء والباحثين ومصدرًا للتأليف، حتى وافته المنية في الإسكندرية عام (820هـ/1417م).<sup>1</sup>

كذلك أحمد بن محمد القسنطيني، المعروف بتقي الدين أبي العباس "الشمي" (ت 872هـ/1467م)، والذي يُعد من أعظم من أنجبت هذه المدينة من العلماء. وعلى الرغم من تحوله إلى المذهب الحنفي في عام (834هـ/1431م) بعد أن كان مالكي المذهب، فقد رسّخ الشمي مكانته كإمام في علم النحو، وقدم إسهامات قيمة في شرح كتاب "المغني" لابن هشام. كما ترك بصمته في مجال التأليف النحوي بكتابه "منهج المسالك إلى ألفية ابن مالك"، ولم يغفل علم الحديث، حيث قام بشرح "نظم نخبة الفكر في أهل الأثر واخذ عنه السيوطي والسخاوي، أقام بالإسكندرية و توفي بالقاهرة".<sup>2</sup>

الصنهاجي:

ينتمي أفراد هذه المجموعة إلى قبيلة صنهاجة البربرية الكبيرة، وقد حافظوا على هذا الانتساب أو عُرفوا به في الديار المصرية. استمر هذا الأمر حتى نهاية الفترة الوسيطة، وحتى أن بعض آثار وجودهم بقيت في العصر العثماني. وكغيرهم من المغاربة الذين استقروا في مصر، عمل هؤلاء الصنهاجيون في مجالات الإدارة، حيث نجد شخصية بارزة مثل محمد بن سعيد بن حماد الصنهاجي البوصيري (توفي عام 697 هـ/1296 م)، صاحب "البردة" الشهيرة. ورغم شهرته كشاعر وخطاط، إلا أنه أظهر كفاءة إدارية في القاهرة وبعض المناطق المصرية، قبل أن يعود إلى التدريس بسبب بعض التحديات التي واجهته في العمل الإداري.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - السخاوي، مصدر سابق، ج 3، ص 242.

<sup>2</sup> - عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت 911 هـ)، بغية الوعاة، تح: حمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، د. ط، لبنان، 1998، ج 1، ص 375.

<sup>3</sup> - ابن عماد الحنبلي، مصدر سابق، ج 7، ص-ص 753-754.

أما في سلك القضاء، فقد تقلد بعضهم مناصب عليا، ومن بينهم أحمد بن محمد الشهير بابن المخلطة الصنهاجي (ت756هـ/1358م)، الذي نشأ بالإسكندرية وتولى منصب قاضيتها مرتين، مما يدل على الثقة بكفاءته ونزاهته.<sup>1</sup>

وفي ميدان الفقه، نجد الفقيه المجتهد أبو العباس بن إدريس الصنهاجي القراني (ت684هـ/1286م)، صاحب المؤلف الموسوعي "الذخيرة". وقد حظي هذا العالم بتقدير كبير من معاصريه من مختلف المذاهب، حتى أنهم عدوه من بين أبرز ثلاثة علماء في مصر في عصره، إلى جانب ناصر الدين بن المنير وابن دقيق العيد.<sup>2</sup>

### 3- من المغرب الأقصى

الفاسي:

نسبة إلى مدينة فاس التي بناها الأدارسة وكانت عاصمة لهم، ومن أشهر العلماء الفاسيين في مصر عصر سلاطين المماليك، أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى، المعروف بالشهاب البرنسي المغربي الفاسي المالكي ولد846هـ، ونشأ يتيمًا بعد وفاة والديه في سن مبكرة. حفظ القرآن، ودرس على يد شيوخ بارزين. قام برحلات إلى الديار المصرية، حيث حج وجاور بالمدينة، وأقام بالقاهرة لدراسة علوم العربية والأصول. تأثر بالتصوف ومفاهيم ابن عربي، وعُرف بتجرده وسفره، وزار القاهرة عدة مرات، تاركًا بصمة في نشر العلم والتصوف.<sup>3</sup>

ومن أشهر الرحالة الذين مروا بمصر خلال القرن السابع والثامن ابن حاج العبدري الفاسي المالكي (ت737هـ/1337م) الذي زار مدينة القاهرة ووصفه بأجمل الأوصاف محللا لأوضاعها ناقما للأفكار البدعية المنتشرة بها، ومن مؤلفاته في ذلك كتاب "البدع"<sup>4</sup>

<sup>1</sup> - أبو العباس أحمد بن محمد المكناسي ابن القاضي (ت1025هـ)، درة المجال في غرة أسماء الرجال تح: مصطفى عبد القادر، دار الكتب العلمية، د.ط، بيروت، 2002، ص28.

<sup>2</sup> - ابن فرحون، مصدر سابق، ج1 ص-ص 188-189.

<sup>3</sup> - السخاوي، مصدر سابق، ج1، 222.

<sup>4</sup> - عاشور منصورية، مرجع سابق، ص 140.

## 4- من الأندلس

الشاطبي:

شاطبة، كغيرها من مدن الأندلس الزاهرة، عرفت بعمرانها المديد وعلمائها الأعلام. وقد أنجبت المدينة العديد ممن ارتحلوا طلباً للعلم وأدباءً لفريضة الحج وللتجارة، إلا أن جذب البلاد المصرية خلال كان له تأثير خاص عليهم، فاستهواهم المقام بها والاستقرار في ربوعها، وخير مثالا على ذلك محمد بن محمد بن إبراهيم بن الحسين بن سراقبة، المعروف بمحي الدين أبو بكر الأنصاري الأندلسي الشاطبي، وُلد في شاطبة بالأندلس في شهر رجب عام 592 هـ. كان عالماً مشهوراً ومُحدِّثاً بارزاً، حيث سمع من العديد من الشيوخ وروى عنهم. تولى مشيخة دار الحديث البهائية بجلب، ثم انتقل إلى مصر وتولى مشيخة دار الحديث الكاملية بالقاهرة حتى وفاته في عام 672 هـ بالقاهرة. امتاز الشاطبي بصلاحه وورعه، وكان يُعرف بكرم أخلاقه وطيب عشرة ولين جانبه. وافته المنية في القاهرة بعد أن ترك أثراً كبيراً في نشر العلم.<sup>1</sup>

بينما برز شاطبي آخر بمواهبه وقدراته لتولي منصب رفيع في علم الحديث، وهو مشيخة الحديث ورئاستها. هذه المناصب لم تكن لتُمنح إلا لمن يتمتع بالكفاءة والنباهة، نجد محمد بن أبي محي الدين الشاطبي (ت 662 هـ/1264 م) رئيساً لمشيخة مدرسة الحديث الكاملية بالقاهرة والبهائية بجلب، وقد شارك بنفسه في التدريس. وقد وافته المنية في القاهرة.<sup>2</sup>

ومن الجدير بالذكر أن مجموعة من الشاطبيين في القاهرة قد تولوا إدارة مشيخة مدرسة الحديث تباعاً، ويعود ذلك إلى قدرتهم العلمية الفائقة في نشر العلم وسيرتهم الحسنة، فبعده آلت رئاسة المشيخة إلى الحسن بن القسطلاني بن أحمَر الشاطبي (توفي عام 686 هـ/1288 م) في القاهرة. وقد انكب هو الآخر على التدريس، وتخرج على يديه علماء بارزون مثل ابن جماعة الدمياطي والبرزالي. وفي مجال الحديث النبوي، ألف كتاباً هاماً بعنوان "الإفصاح المعجم من الغامض والمبهم في أسماء رجال الحديث" الذي كان مرجعاً قيماً لطلاب علم الحديث في القاهرة.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - صلاح الدين خليل بن أبيك بن عبد الله الصفدي (ت 764 هـ) الوافي بالوفيات، دار إحياء التراث، د.ط، بيروت، 2000، ج1، ص167.

<sup>2</sup> - نفسه، ج1، ص134.

<sup>3</sup> - ابن تغري بردي، مصدر سابق، ج7، ص373.

الغرناطي:

نسبة إلى مدينة غرناطة آخر معاقل المسلمين في الأندلس، وكان لقب الغرناطي مصاحب للعلماء الغرناطيين طوال الإقامة في مصر، ومنهم: علي بن محمد بن يوسف بن عفيف، المعروف بضياء الدين أبو الحسن الخزرجي الغرناطي، كان شاعرًا صوفيًا بارزًا من غرناطة بالأندلس. ينتسب إلى سعد بن عبادة، وتأثر في شعره بطريقة محيي الدين بن عربي. له مدائح نبوية جميلة، لكنه عانى في آخر حياته من المرض. عاش عمرًا طويلًا وتوفي في الإسكندرية عام 686 هـ، بعد أن ترك بصمة في الأدب الصوفي والمدائح النبوية.<sup>1</sup>

ومن أبرز علماء غرناطة أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف الغرناطي (ت 745) المالكي لكنه تحول فيما بعد إلى المذهب الحنفي، والذي عُرف براعته في النحو و ألف وشرح فقام بشرح ألفية ابن مالك وسماه " التذليل والتكميل في شرح التسهيل، منهج السالك في الكلام على ألفية ابن مالك.<sup>2</sup>

أما قرطبة نذكر: أحمد بن عمر القرطبي (ت 656 هـ/1258 م)، اهتم بالعلم اختصر الصحيحين، أقام بالإسكندرية، ومن اشيلية ابن عصفور ابن سعيد الأنصاري الأندلسي (ت 699 هـ/1299 م) استقر بالقاهرة، ومن مرسية نجد شرف الدين الأندلسي (ت 655 هـ/1257 م) أقام بمصر و درس الحديث و الفقه.<sup>3</sup>

وعليه و من خلال ما سبق يتبين أن المغاربة بمصر عصر سلاطين المماليك عُرفوا من خلال الترجمة لهم أو تدوين أحداث تاريخية عن حياتهم بنسبتهم بداية إلى بلادهم الغرب الإسلامي، فيقال: المغربي بغض النظر عن الإقليم الذي ينتمي إليه ثم إضافة المدينة أو القبيلة، فالبجائي نسبة للمدينة والزواوي للقبيلة، ثم قد تتوسع النسبة لتشمل النشاط أو المهنة، و كذا الانتماء المذهبي كالمالكي و هو الغالب أو نسبة لإحدى الطرق الصوفية كالشاذلي أو البدوي.

1- الصفدي، الوافي بالوفيات، مصدر سابق، ج22، ص98.

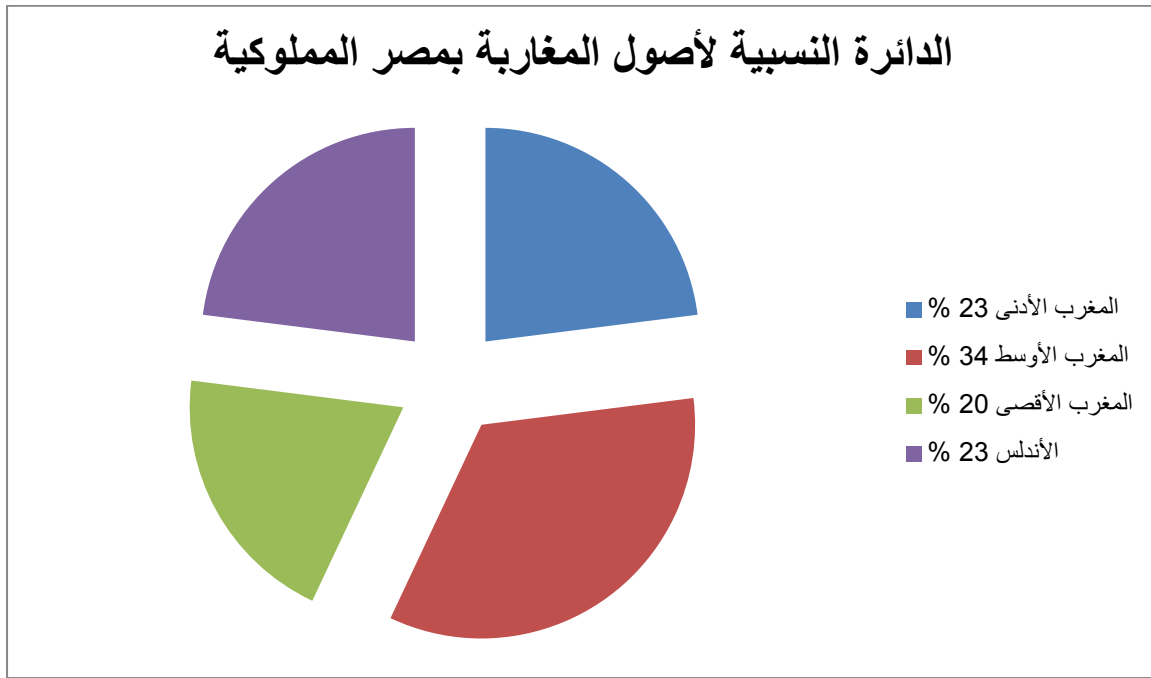
2 - السيوطي، بغية الوعاة، مصدر سابق، ج1، ص280.

3 - نجة الجويني، مرجع سابق، ص 216.

و لتوضيح نسبة أصول و ألقاب المغاربة بمصر المملوكية، والتي اختصرنا فيها على عدد الشخصيات المذكورة في البحث البالغ عددهم: 115 شخصية، فتحصلنا على ما هو مبين في الجدول الآتي :

عدد الشخصيات المذكورة في البحث	من المغرب الأدنى	من المغرب الأوسط	من المغرب الأقصى	من الأندلس
115	27	39	23	26
النسبة	%23	%34	%20	%23

جدول رقم 2: أصول المغاربة ( المجال الجغرافي للمغاربة ) بمصر المملوكية



من إعداد : أصحاب البحث

توزعت ألقاب و أصول المغاربة بمصر المملوكية على مختلف أقطار الغرب الإسلامي ، فنلاحظ تقارب بين النسب، و هذا راجع - حسب رأينا - إلى ما تمر به مختلف أقطاره بظروف متماثلة، تم الإشارة إليها في الفصل الأول، إضافة إلى أنّ المغاربة رغم اختلاف الكيانات السياسية التي تحكمه في تلك الفترة ( الحفصية، الزيانية، المرينية ، مملكة غرناطة) إلا أنهم كانوا كالمجتمع الواحد، في حين زادت نسبة المغرب الأوسط 34 % ، لأننا أردنا أصحاب البحث إبراز شخصيات بلدنا.

### المبحث الثالث: أنواع الإقامة

لطالما كانت مدة إقامة المغاربة في مصر مرتبطة بشكل أساسي بقرار المقيم نفسه، وحسب الأهداف التي يسعى لتحقيقها. سواء كانت هذه الأهداف ذات طبيعة سياسية أو دينية وثقافية بما في ذلك أداء المناسك، أو تجارية. ونتيجة لذلك، تنوعت أشكال وأنواع الإقامة من حيث أهدافها وأسبابها وكانت منها الدائمة والمؤقتة، بناءً على هذه الحقائق، يهدف هذا الفصل إلى استعراض مختلف أشكال الإقامة وأغراضها التي اختارها المغاربة في مصر،

#### 1- الإقامة الدائمة

و يتضمن الجدول نوع هذه الإقامة من خلال ذكر بعض الأسماء كالاتي:

الاسم	تاريخ الوفاة	المجال الجغرافي للمغادرة	مكان الإقامة	غرض الإقامة	المصدر
محمد بن محمد أبو الفضل المشدالي البجائي	(864 هـ/1460 م)	بجاية	القاهرة	علمي	السخاوي، الضوء اللامع، ج9، 183.
محمد بن أحمد ابن القسطلاني	(686 هـ/1287 م)	قسطلان	القاهرة	علمي	المقرئزي، المقفى الكبير، ج 5، ص 128.
عبد الرحمان بن محمد بن خلدون الحضرمي	(808 هـ/1406 م)	تونس	القاهرة	سياسي	السخاوي الضوء اللامع، ج4 ص-ص 146- 145
إبراهيم بن علي الأندلسي القنائي	(656 هـ/1258 م)	الأندلس	قنا	الحج	الادفوي، الطالع الصعيد، ص 60.
أبو الحسن علي بن عبد الله الشاذلي	(656 هـ/1258 م)	شاذلة	الإسكندرية	الحج/ الزهد و التصوف	الصفدي، الوافي بالوفيات، ج21، ص 142.

السخاوي، الضوء اللامع، ج 9، ص .219	القضاء	الإسكندرية	المغرب الأوسط	(717 هـ/1318م)	محمد بن سليمان الزواوي
المقريزي، المقفى الكبير، ج 5، ص 685.	علمي	القاهرة	بجاية	(683 هـ/1285 م)	أبو عبد الله محمد ابن إبراهيم بن يحيى البجائي
السخاوي، الضوء اللامع، ج 4، ص .239	علمي	القاهرة	تونس	(879 هـ/1445م)	عبد العزيز بن يوسف التونسي
ابن اياس، بدائع الزهور، ج 2، ص 278	تجاري	القاهرة	المغرب	(854 هـ/1450م)	داود المغربي
السخاوي، الضوء اللامع، ج 3، ص .247	تجاري	مصر	الأندلس	(891 هـ/1486م)	سعد ابن إبراهيم بن محمد الأندلسي

من خلال الأمثلة المذكورة في الجدول يتبين أن المغاربة على اختلاف مجال المغادرة الجغرافي؛ اختاروا الإقامة بمصر بشكل دائم، بغض النظر عن كون سبب المغادرة اضطرارية كما حدث لابن خلدون وغيره، أو اختيارية نظرا لعوامل الجذب المذكورة في البحث سابقا، وكانت الجانب العلمي الثقافي من أهم الأغراض التي جعلت المغاربة يفضلون الإقامة والاستقرار بشكل دائم، من طلب للعلم أو تدريسه، بالإضافة إلى التجارة، الحج والخطط الإدارية.<sup>1</sup>

1- منصورية عاشور، مرجع سابق، ص 103 .

2- الإقامة المؤقتة

خلال عصر سلاطين المماليك، شهدت مصر وصول موجات من الأندلسيين والمغاربة، ربما لأغراض تجارية أو علمية أو غيرها، لكنهم لم يستقروا فيها بشكل دائم كما فعلت الجاليات التي اتخذت من مصر وطنًا له، ويشمل الجدول الإقامة المؤقتة من خلال ذكر بعض الأسماء كالاتي:

الاسم	تاريخ الوفاة	المجال الجغرافي للمغادرة	مكان الإقامة	غرض الإقامة	المصدر
مساعدة بن حامد المصراقي	(870 هـ / 1466 م)	مصر	مصر	تجارة	السخاوي، الضوء اللامع، ج 10، ص 154.
محمد بن محمد المالقي	(878 هـ / 1474 م)	مالقة	الإسكندرية	تجارة	السخاوي الضوء اللامع، ج 9، ص 200.
محمد بن جابر الأندلسي ثم التونسي	(749 هـ / 1349 م)	تونس	الإسكندرية	علمي	ابن حجر، الدرر الكامنة، ج 5، ص 152.
محمد بن أحمد حفيد ابن مروان التلمساني	(842 هـ / 1439 م)	تلمسان	القاهرة	الحج	المقريزي، المقفى الكبير، ج 5، ص 143.
محمد عبد الرحمن الصنهاجي الفاسي	(722 هـ / 1322 م)	فاس	القاهرة / الإسكندرية	علمي	المقفى الكبير، ج 6، ص 14.
أبو عبد الله محمد بن سليمان الزواوي	(711 هـ / 1312 م)	المغرب الأوسط زواوة	الإسكندرية	القضاة	المقريزي، المقفى الكبير، ج 5، ص 368.
أبو الحسن علي بن موسى الرحالة ابن سعيد المغربي	(685 هـ / 1274 م)	غرناطة	مصر	الرحلة	الصفدي، الوافي بالوفيات، ج 22، ص 157.

أبو عبد الله محمد بن عمر المعروف: بابن رشيد السبتي	(721 هـ/1321 م)	سبتة	مصر	الرحلة	ابن حجر، الدرر الكامنة، ج 4، ص 229.
أبو عبد الله محمد بن محمد العبدري	(688 هـ/1289 م)	المغرب	مصر	الرحلة	الزركلي، الأعلام، ج 7، ص 260.
القاسم بن يوسف التحجبي السبتي	(730 هـ/1329 م)	سبتة	مصر	الرحلة	الصفدي، الوافي بالوافيات، ج 24، ص 129.
أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد المعروف بابن بطوطة	(770 هـ/1368 م)	طنجة	مصر	الرحلة	رحلة ابن بطوطة، ص 05.
أبو البقاء خالد بن عيسى بن أحمد البلوي	(780 هـ/1387 م)	غرناطة	مصر	الرحلة	ابن الخطيب، الإحاطة، ج 1، ص 500.

كما عرف المغاربة الإقامة الدائمة بمصر المملوكية، ولكن منهم من فضّل عدم الاستقرار النهائي والرجوع لبلده بالغرب الإسلامي، بعد تحقيق مراده؛ من أداء فريضة الحج أو إنهاء فترة الدراسة العلمية، كذلك فئة التجار التي تنقل بين مصر والشام والحجاز، فعالب نشاطهم التنقل بين المناطق لنجلب أو نقل السلع والبضائع، فالتاجر أبو القاسم عبد الرحمان بن محمد السجلماسي (ت 789 هـ/1387 م) ظل يتنقل بين القاهرة وحلب وبغداد وتوفي بالقدس<sup>1</sup>، والتاجر إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الغرناطي المعروف بابن الطويين (ت 739 هـ/1338 م) الذي اتسع نشاطه التجاري بين مصر والمغرب والشام والعراق والصحراء الإفريقية الكبرى حيث توفي بتمبكتو،<sup>2</sup> والتاجر مساعد بن حامد المصراقي (ت 870 هـ/1466 م)، الذي كان يتاجر بين مصر ومكة والهند التي توفي بها<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - ابن حجر، الدرر الكامنة، مصدر سابق، ج 2، ص 451.

<sup>2</sup> - أبو عبد الله محمد بن عبد الله لسان الدين ابن الخطيب (ت 776 هـ)، الإحاطة في أخبار غرناطة، تح: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، د.ط، القاهرة، 1975، ج 1، ص 329.

<sup>3</sup> - السخاوي، مصدر سابق، ج 10، ص 154.

لتبيان نسبة أنواع الإقامة ،طبقتنا النوعين على الشخصيات المذكورة في الدراسة وكان عددهم 115، فكانت النتيجة الموضحة في الجدول الآتي :

الإقامة المؤقتة	الإقامة الدائمة	عدد الشخصيات المذكورة في البحث
29	86	115
%25	%75	النسبة

الجدول رقم 3: يوضح أنواع الإقامة للمغاربة بمصر المملوكية



من إعداد: أصحاب البحث

من خلال الدائرة النسبية و التي كانت فيها الإقامة الدائمة بنسبة: 75 % ،أي 86 شخصية من بين 115، بينما أخذت الإقامة المؤقتة نسبة: 25 % أي 29 شخصية ، وهذا ما يدل على أنّ المغاربة فضّلوا الاستقرار بمصر على اختلاف غاياتهم وأهدافهم، نتيجة عوامل الجذب والاستقطاب التي عرفتها مصر المملوكية، فمن خلال إقامتهم الدائمة و المستمرة شكّل المغاربة جزءا من المجتمع المصري، مشاركين في شتى مناحي الحياة العامة، ومنها الجانب الاجتماعي الذي سنتطرق إليه في الفصل الموالي .

## الفصل الثالث

### الحياة الإجتماعية للمغاربة بمصر المملوكية

المبحث الأول : طبقات و فئات المغاربة

المبحث الثاني : العادات و التقاليد

المبحث الثالث : المكانة الاجتماعية للمغاربة

## المبحث الأول: طبقات وفئات المغاربة في المجتمع المصري خلال العصر المملوكي

قبل التطرق لدراسة فئات وطبقات المغاربة في المجتمع المصري خلال فترة البحث، يجدر بنا الإشارة أنّ هؤلاء الوافدين اختلفوا عن الذين جاؤوا بين (ق 1-6هـ/ق 7-12م)، حيث تميزت الأكثرية منهم قصّد اكتساب العلم و الاستزادة من المعرفة ومن ثم الرجوع لبلادهم، أمّا في فترة البحث، فالأمر تغيّر تماما، وأصبحت خاصية الاستقرار والإقامة الدائمة أو شبه الدائمة ميزة الأغلبية العظمى منهم، فاندمجوا في المجتمع المصري وأصبحوا مصدر للعتاء في جميع مجالات الحياة،<sup>1</sup> واستطاعوا بذلك أن يشكّلوا تنظيمات اجتماعية<sup>2</sup> ويقوموا بأدوارهم الحضارية.<sup>3</sup>

## 1- فئة العلماء والقضاة و الإداريين:

تكوّن المجتمع المصري من عدة فئات وطبقات، وتعتبر طبقة العلماء الثانية بعد فئة السلاطين والأمراء، والعلماء هم الذين يشتغلون مهمة التدريس الفقهي والأدبي وغيره، وهم طبقة عليا في المجتمع المملوكي، وقد سماهم ابن حجر بـ: " أصحاب العمائم"<sup>4</sup> وكان لهم احترام واسع من طرف السلاطين تمكنوا من خلاله من النفوذ والتغلغل في الدولة، وأرجع المؤرخون سبب تقريب سلاطين المماليك للعلماء كؤن المماليك غرباء عن البلاد والعباد فاتخذوا العلماء، وتركيتهم وتأبيدهم وسيط بينهم وبين أهل البلاد، ووسيلة ودعامة شرعية لبسط حكمهم وقبولهم، لما للعلماء من حضوة لدى العامة.<sup>5</sup>

ولقد شكل المغاربة من هذه الفئة نسبة كان لها حسابها ويقدر لها قدرها، فمن العلماء الذين انتقلوا لمصر أبو الفضل المشدالي (ت 849هـ/1445م)، الذي سبقته شهرته وتولى التدريس في الجامع الأزهر، وكانت بينه وبين السخاوي صلة، حتى قال فيه من شدة إعجابه " من لم يحضر درسه لم يحضر العلم ولا سمع كلام العرب"<sup>6</sup>

<sup>1</sup> - علي أحمد، الأندلسيين و المغاربة ، مرجع سابق، ص 129.

<sup>2</sup> - ابن خلدون، مصدر سابق، ج 7، ص 362.

<sup>3</sup> - المقرئ، الخطط، مصدر سابق، ج 2، ص 389.

<sup>4</sup> - أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني (ت 852 هـ) ، إنباء الغمر بأخبار العمر ، تح: حسن حبشي ، د.د.ن ، د.ط ، القاهرة ، 1969، ج 2، ص 277 .

<sup>5</sup> - أكرم صباح حسون، أحوال مصر الاجتماعية في دولة المماليك البحرية ( 648 - 784 هـ / 1250 - 1382 م )، مذكرة ماجستير في التاريخ الإسلامي، كلية الآداب للدراسات العليا، جامعة بغداد، 2014، ص 48.

<sup>6</sup> - السخاوي، مصدر سابق، ج 3، ص 183.

ومنهم محمد بن إبراهيم أبو الفضل التلمساني قدم القاهرة (ت 845 هـ/1441 م)<sup>1</sup>، وأبو عبد الله محمد بن عثمان المغربي البجائي (ت 860)، كان له فضل وآداب وتواضع، استوطن الاسكندرية<sup>2</sup>، و احمد بن محمد بن علي البسكري وُلِد سنة 846 هـ قدم القاهرة سنة 889 هـ و كان فقيها و بارعا في اللغة.<sup>3</sup>

ويعتبر القضاء احد أركان الدولة الإسلامية، ومن أساسيات نظام الحكم فيها، وهو الجانب العملي لإلزام الناس بتطبيق الشريعة وإعلان هيبتها ونفوذها، من اجل العدل والإنصاف، لذا كان القضاء منصب مهم، فكان الخلفاء والأمراء والقضاة يتولونه نيابة عن الأمة.<sup>4</sup>

وكان القضاء في الديار المصرية مقتصرًا على قاضي واحد، حتى كانت أيام السلطان الظاهر بيبرس فجعل أربعة قضاة من المذاهب السنية الأربعة؛ الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية، وكان قضاء المالكية يتولونه المغاربة لكونهم على المذهب المالكي وبه يعملون.<sup>5</sup>

ومن تولى القضاء من أسرة الزواوي محمد بن سليمان الزواوي (ت 717 هـ/1318 م) عمل نائبا لقاضي المالكية بالإسكندرية، ثم قاضي القضاة، لينتقل بعدها للشام و يستلم منصب قاضي القضاة هناك حتى وفاته.<sup>6</sup>

وفي القاهرة تولى قاضي قضاة المالكية عيسى ابن مسعود الزواوي (ت 743 هـ/1343 م)، حيث تلقى العلوم الشرعية من المغرب في بجاية وتونس ولم يلاحظ عليه ريب في منصبه كقاضي.<sup>7</sup>

أشهر من تولى القضاء على المذهب المالكي من المغاربة عبد الرحمن ابن خلدون (ت 808 هـ/1406 م) والذي اجتمعت فيه المؤهلات العلمية والقضائية والسيرة والسلوك المستقيم.<sup>8</sup>

ولقد كان لقضاة المالكية دور في الحياة الاجتماعية بمصر من خلال منصبهم، ويأتي هذا الدور في نوع الأحكام التي يصدرها هؤلاء القضاة من حيث القساوة والصعوبة والصرامة في نتائجها، فالمسائل الكبرى التي تواجه القضاة من

<sup>1</sup> - السخاوي، مصدر سابق، ج10، ص 74.

<sup>2</sup> - نفسه، ج8، ص 146.

<sup>3</sup> - نفسه، ج2، ص 145.

<sup>4</sup> - أكرم صباح حسون، مرجع سابق، ص 44.

<sup>5</sup> - المقرئ، السلوك، مصدر سابق، ج 4، ص 27.

<sup>6</sup> - إبراهيم زعرور، القضاة الأندلسيون و المغاربة في بلاد الشام في عصر المالكيك، مجلة دراسات تاريخية، جامعة دمشق، ع 54-53، 1995، ص 65.

<sup>7</sup> - الحاج العيفة، مرجع سابق، ص 269.

<sup>8</sup> - نفسه، ص 272.

المذاهب الأخرى كانت تحال لقضاة المالكية للفصل فيها، مثل قضايا الكفر والإلحاد، والزندقة والخيانة، ففي سنة (785هـ/138م) أتهم جماعة في القاهرة بالزندقة، فأجِيلوا للقضاء المالكي فاصدر أمرا بضرب أعناق ستة منهم.<sup>1</sup> وفي سنة (832هـ/1429م) أمر السلطان قاضي المالكية شمس الدين محمد البساطي بالفصل في قضية الجاسوس العجمي التبريزي، الذي كان على اتصال بملك الحبشة، وتحريضه ضد المسلمين، فحكم عليه القاضي بالإعدام.<sup>2</sup> بالإعدام.

وممن تولى القضاء بالإسكندرية كمال الدين التنسي (ت 777 هـ / 1375 م) وابنه محمد، وسالم بن عبد الله بن سعادة القسنطيني (ت 820 هـ / 1417 م)، وكذلك احمد بن سعيد التلمساني المغربي بعد وفاة القاضي جمال الدين عبد الله بن الدمامين.<sup>3</sup>

كذلك من الأعمال الإدارية التي قام بها المغاربة، والتي اعتبرت حكرا على المشاركة الكتابة بديوان الإنشاء، حيث عمل محمد بن سعيد بن حماد الصنهاجي البوصيري (ت 697 هـ/1296 م)، أصيل قلعة بني حماد من بيت حنون في كتابة الديوان بمنطقة الشرقية، وكان جيد الخط، صادقاً نزيهاً أميناً، يتألم لفساد بعض الإداريين فضايقوه فاضطر لتترك منصبه.<sup>4</sup>

## 2- فئة التجار

ذكرنا في الفصل الأول عوامل جذب المغاربة للتواجد بمصر خلال فترة الدراسة، والتي منها العوامل الاقتصادية، هذه الأخيرة جعلت من مصر المملوكية همزة الوصل في التبادل التجاري بين الشرق والغرب، فازدهرت التجارة في مختلف الموانئ والمدن المصرية وشجعت الحركة الاقتصادية في ظل الظروف التي يشهدها العالم في تلك الفترة، لعل أهمها تشجيع سلاطين المماليك للحياة الاقتصادية عامة والجانب التجاري خاصة.

لذا عرفت مصر خلال فترة الدراسة العديد من التجار المغاربة والأندلسيين كان لهم الفضل والمساهمة والحضور في الحياة الاقتصادية، فنقلوا من المغرب والأندلس لمصر ثروات ومنتجات مغربية والعكس، كما كان لركب الحج

<sup>1</sup> - ابن حجر إنباء الغمر، مصدر سابق، ج1، ص 418.

<sup>2</sup> - ابن تغري بردي، مصدر سابق، ج14، ص 324.

<sup>3</sup> - ابن حجر، إنباء الغمر، المصدر السابق، ج3 ص 184.

<sup>4</sup> - السيوطي، حسن المحاضرة، مصدر سابق، ج1 ص 571.

المغربي على مر الفترات الإسلامية وبمختلف مراحل وطرقه ووسائله الأثر والدور البالغ في ظهور فئة التجار المغاربة بمصر المملوكية، سواء كانوا ذوي إقامة مؤقتة أو دائمة.<sup>1</sup>

ولقد كانت فئة التجار من المغاربة الوافدين والمستقرين بمصر، يستغلون العلاقات التجارية بين مصر والغرب الإسلامي، عبر الطرق التجارية التي ذكرها الرحالة والجغرافيون البحرية والصحراوية عبر الواحات، ونظرا لازدياد عددهم فقد وُجدت أسواق خاصة بهم مثل: سوق بربر، وسوق المغاربة بالقسطنطينية<sup>2</sup>، وانتشار هذه الأسواق بمصر دليل على كثرة التجار المغاربة، وتعدّ مدينة الإسكندرية أهم المدن المصرية التي احتوت فئة التجار المغاربة، بحكم موقعها الجيد على البحر المتوسط فكانت نقطة تلاقي بين وادي النيل وبلاد المغرب وسواحلها، ومنه محطة تجمع للسلع والمنتجات القادمة من آسيا وإفريقيا إما عن طريق البحر الأحمر، أو عن طريق الطرق البرية عبر النيل بالسلع والمنتجات المغاربية من بلاد المغرب الإسلامي أو الأندلس، فأصبحت مصر عموما والإسكندرية خصوصا تعج بالسلع الشرقية من عطور وتوابل و منسوجات وعديد المنتجات الأخرى حتى عادت مركزا لتصدير التوابل، وهذا ما جلب إليها التجار من مختلف أقطار العالم ومنهم المغاربة.<sup>3</sup>

و نظرا للثقة في التعامل التي تميز بها المغاربة كان تجار مصر يحرصون على التعامل معهم، من ذلك حرص التاجر أبو الجود داود بن سليمان بن حسن المصري ( ت 863 هـ / 1459 م ) على التعامل مع المغاربة في تجارة الكتب.<sup>4</sup> وكانت للتجار المغاربة مساهمة في تنشيط الحركة الاقتصادية لمصر خلال فترة البحث، لامتلاكهم للثروة والمال، فقد كان ابراهيم بن عبد الله المغربي ( ت 880 هـ / 1476 م ) تاجرا يملك أموالا كثيرة، حتى انه خاف مصادرتها فأرسلها للمغرب لكنه فشل وصدرت أمواله، وبالقاهرة اشتهر التاجر عمر بن غازي المغربي خلال القرن 9 هـ، وبدمياط محمد بن عبد الرحمان التونسي ( ت 870 هـ / 1466 م ).<sup>5</sup> واشتهر شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد التنسي ( ت 897 هـ ) بمزاولة التجارة بالإسكندرية، مقتديا بجده الذي كان كثير العناية بالتجارة<sup>6</sup>، وعند ذكر

<sup>1</sup> - حياة عبود العامودي، النشاط الاقتصادي للمغاربة و الأندلسيين بمصر في العصر المملوكي (648هـ-923 هـ / 1250 م - 1517 م )، جامعة الأميرة نورة، كلية الآداب، قسم التاريخ و الآثار، السعودية، د.ت، ص 275 .

<sup>2</sup> - المقرئ، الخطط، مصدر سابق، ج 13، ص 467.

<sup>3</sup> - بورملة خديجة، عبد القادر بوباية، العلاقات التجارية البحرية للمغرب الأوسط مع مصر من منتصف القرن الخامس الهجري إلى أواخر العصر الوسيط، مجلة عصور، جامعة وهران، ع 36، 2017، ص 36.

<sup>4</sup> - السخاوي، مصدر سابق، ج 3، ص 211.

<sup>5</sup> - المقرئ، مصدر سابق، ج 2، ص 58.

<sup>6</sup> - السخاوي، المصدر السابق، ج 2، ص 89 .

التجار المغاربة بمصر لا يفوت ذكر التاجر الكبير داود المغربي ( ت 854 هـ/1450 م ) بالإسكندرية<sup>1</sup> وفي مدينة الاسكندرية أيضا عُرف التاجر التونسي احمد ابن عبد الرحمان الفكييري أما أخوه كمال فقد اشتغل بالتجارة بدمياط.<sup>2</sup>

ولم تقتصر هذه الفئة عن ممارسة التجارة داخل مصر بل كان منهم مغاربة ينشطون بالتجارة الخارجية كالتاجر المغربي مساعد بن حامد المصري ( ت 870 هـ/ 1466 م ) فقد كان تاجرا متنقلا بين مصر والحجاز والهند، والتاجر محمد بن محمد المالقي ( ت 878 هـ/1474 م ) فبين الإسكندرية و اليمن.<sup>3</sup>

### 3- الصناع و رجال الخدمة

عرفت الصناعة في العصر المملوكي بمصر ازدهارا كبيرا بفضل وجود طبقة من الصناع والحرفيين، وكان أكثر هذه الطبقة الوافدين على مصر المملوكية من الشرق و الغرب لما يمر به العالم الإسلامي حينها، فارتحل أصحاب الصنائع والحرف من مختلف أقطار العالم الإسلامي لمصر وشاركوا المصريين في صنائعهم، وكان المغاربة يشكلون فئة معتبرة من هؤلاء.<sup>4</sup>

من الحرف التي امتهنتها المغاربة، غزل الصوف ودبغ الجلود، وهذا بالخصوص عند مربي وممتلكي الحيوانات، أما الخياطة فهي من الحرف التي مارسها المغاربة بمصر خلال فترة الدراسة، وكانت مصدر رزقهم، فتذكر المصادر فتح الدين محمد بن يوسف بن عبد الدائم الزواوي نزيل القاهرة ( ت 708 هـ/ 1404 م )<sup>5</sup>، وأبو عبد الله محمد بن عبد الله بن يوسف التونسي ثم القاهري ( ت 888 هـ/1473 م )، وإلى جانب الخياطة نجد نسج الحرير وتركيبه الذي كان من الأعمال التي زاولها المغاربة لتوفير معيشتهم، ومن الذين اشتهروا بذلك أبو العباس أحمد الحراري الأندلسي الاشبيلي القاهري.<sup>6</sup>

<sup>1</sup> - ابن اياس، مصدر سابق، ج2، ص 278 .

<sup>2</sup> - السخاوي، المصدر السابق، ج، 1 ص 325 .

<sup>3</sup> -3- السخاوي، مصدر سابق ج9، ص 200 .

<sup>4</sup> - رشا فاضل كاضم العكي، الحياة الاجتماعية لمصر في عصر المماليك، مذكرة ماجستير في التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ، جامعة الكوفة، 2014، ص 17 .

<sup>5</sup> - السخاوي، المصدر السابق، ج، 7، ص 117 .

<sup>6</sup> - نفسه، ج، 7، ص 118 .

أما الصناعة النسيجية من أغطية وأفرشة وستائر وملابس كانت من أهم الأعمال التي يسترزق بها المغاربة رجالا ونساء، وهناك إشارة ذكرها ابن حجر في الدرر بأن إحدى المغريبات كانت تشتغل بالنسج، عند الترجمة لأخيها: عبد الله المغربي (ت 749 هـ/1339 م) فقال " اشتغلت بغزل الثياب فكان أخوها لا يلبس إلا من انتاجها"<sup>1</sup>

كما شملت طبقة الحرفيين من المغاربة ممن يعملون في صك العملة وصناعة الموازين، فأما ضرب السكة فنذكر شهاب الدين احمد الأندلسي المالقي وزكي الدين أبي بكر الموازيني، عملا بضرب السكة بالإسكندرية عام (797 هـ/1395 م)<sup>2</sup>.

ولعفة المغاربة والاسترزاق من عمل أيديهم، وعدم سؤال الناس، وقوة شخصيتهم تذكر المصادر أن مغربيا اشتغل سقا بنقل الماء من النيل بقرية، وكان في طريقه للحج، لإكمال مصاريف رحلة الحج.<sup>3</sup>

وأما صناعة الموازين وخاصة القبان فقد اشتهرت به عائلة الزواوي من المغرب الأوسط و توارثوه أبا عن جد وبرعوا فيه و طوروه إلى غاية القرن التاسع الهجري، فاشتهر الصانع شعبان بن علي بن احمد المغربي الزواوي ثم القاهري القباني (ت 893 هـ/1479 م)، وأبيه علي وأخيه محمد (ت 850 هـ/1446 م)، وأصبح شعبان شيخ القبابين.<sup>4</sup>

كما اشتهر وبرع المغاربة في صناعة السفن وتفوقوا فيها على غيرهم من المشاركة، بحكم تجربتهم في البحر وخوضهم الحروب البحرية على الضفة الشمالية من البحر المتوسط طيلة الفترات الإسلامية، مما اكسبهم دراية و خبرة بالسفن وأنواعها وتركيبها وصناعتها، وأدل على ذلك تولى إبراهيم التازي المغربي رئيس دار الصناعة بالإسكندرية.<sup>5</sup>

**رجال الخدمة:** وقد مارس و اشتغل فقراء المغاربة بالمشرق عموما ومنها مصر قبل العهد المملوكي واستمر الأمر بعده في أعمال تعتبر محدودة القيمة والدخل إذا ما قارنما بالوظائف الأخرى، وقد تمثلت هذه الأعمال في ميادين ومجالات مختلفة من أمثلة ذلك: العمل في حراسة طاحونة أو بستان أو حمام أو مطبخ، أو تجهيز الطعام للجيش، أو في مجال قشر القمح ودقه وتجهيزه بالشكل الذي يكون صالحا للاستخدام في الطبخ والطعام، ولعل الدافع الذي جعل هؤلاء المغاربة يمتنون مثل هاته الأعمال ظروفهم العامة التي لم تسمح لهم بالانخراط في مناصب على مستوى

1- ابن حجر الدرر الكامنة، مصدر سابق، ج2، ص 419.

2- المقرزي، السلوك، مصدر سابق، ج3، ص 834.

3- بلقاسم الطباي، السقاؤون في القاهرة ( 648 هـ - 923 هـ / 1250م - 1517 م ) ، د.د.ن، د.ط، القاهرة ، 2009، ص 241 .

4- السخاوي ، مصدر سابق، ج3، ص 300.

5- أحمد بن خيرة ، مرجع سابق، ص،ص 161، 164 .

أفضل وأرفع قيمة و مردودا، كالتدريس أو التجارة، ومن أعمال الخدمة التي مارسها المغاربة أيضا كفيل صبيان يؤديهم إلى أماكن تدريسهم وتعليمهم، ثم إرجاعهم إلى منازلهم، وهذا راجع للمكانة والثقة التي حضي بها المغاربة لدى المشاركة وهي ليست وليدة العهد المملوكي، بل قبله في عهد الأيوبيين ومن قبلهم، إذ يقول ابن جبير في رحلته عن سبب إسناد مثل هذه الأعمال وخاصة الحراسة وكفالة الصبيان، للمغاربة من طرف المشاركة سواء بمصر أو بلاد الشام " وليس يُؤتمن فيها كلها سوى المغاربة الغرباء، لأنهم قد علا لهم بهذا البلد صيت في الأمانة وطار لهم فيه ذكر".<sup>1</sup>

#### 4- الصوفية

إن ظاهرة التصوف كانت أهم ظاهرة تميزت بها الحياة الدينية بمصر عصر سلاطين المماليك، حيث نما وازدهر ازدهارا كبيرا فوفد على مصر خاصة بين القرنين (7-8 هـ / 13-14 م)، عدد كبير من مشايخ التصوف أغلبهم مغاربة، فوجدوا بمصر أرض خصبة لنشر تعاليمهم ومذاهبهم وما لبثوا إن شكلوا طرقا وفرقا كثيرة لكل منها شعارها وشيخها وتعاليمها.<sup>2</sup>

شكل المغاربة من المتصوفة على اختلاف طرقهم وميولاتهم الروحانية شريحة مهمة في المجتمع المصري، زمن سلاطين المماليك، فشهدت مختلف المدن المصرية تواجد الصوفية من بلاد الغرب الإسلامي وتعتبر مدينة الإسكندرية أهم المدن التي احتوتهم، إذ عُرفت كمركز للتصوف لوجود أهم الطرق الصوفية الشرقية والمغربية كالرفاعية، والقادرية وكذلك تلاميذ أعلام التصوف من تلامذة أبي يعزى (ت 572 هـ / 1177 م)، وابن العريف (ت 536 هـ / 1141 م)، وأبو مدين شعيب (ت 594 هـ / 1198 م) وتوفرها على العديد من الزوايا والخانقات والأربطة فهي ثغر من الثغور الإسلامية.<sup>3</sup>

ولقد كان لأبي مدين الغوث تلاميذ وطلبة عملوا على انتشار التصوف بمصر، لعل أشهرهم وأبرزهم عبد الرزاق الجزولي (ت 592 هـ / 1196 م)، وأبو الحسن الشاذلي (ت 656 هـ / 1258 م) الذي ولد بالمغرب الأقصى

<sup>1</sup> - أبي الحسن محمد بن أحمد بن جبير، رسالة اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك رحلة ابن جبير، دار مكتبة الهلال، د.ط، بيروت، لبنان، ص-ص 250-251.

<sup>2</sup> - سعيد عبد الفتاح عاشور، المجتمع المصري، مرجع سابق، ج1، ص 162.

<sup>3</sup> - عاشور منصورية، مرجع سابق، ص 258.

وانتقل لأفريقية فاخذ العلم والتصوف ثم توجه للمشرق للحج وأقام بالإسكندرية وتوفي بها، فكان له تلامذة وأتباع بمصر مغاربة وغيرهم<sup>1</sup>.

بالإضافة للتصوف السني كان للمغاربة مشاركة في النوع الثاني من التصوف، ألا وهو التصوف الفلسفي، ومن أبرز من اشتهر به من المغاربة بالمشرق الإسلامي ومنها مصر نجد: محي الدين ابن عربي (ت 640 هـ / 1243 م)، وعبد الحق ابن سبعين (ت 669 هـ / 1271 م)<sup>2</sup>.

ومن فئة المتصوفة المغاربة بمصر عصر سلاطين المماليك من اشتغل بالإنشاد والرقص الصوفي مثل: أبو الحسن الششتري الأندلسي الزجاجال<sup>3</sup>. (ت 668 هـ / 1270 م)<sup>4</sup>، الذي تتلمذ على ابن سبعين بمكة وظل يتردد بين مكة و مصر حتى توفي بدمياط وكانت له شبه طريقة ششترية مستقلة.<sup>5</sup>

أما أبو القاسم محمد بن منصور اللكّي (ت 662 هـ / 1264 م) ولكة مكان بين برقة وطرابلس وقيل بجليقية بالأندلس وعلى كل حال فهو من أصل مغاربي، عُرف بالزهد و التصوف والورع كان يحفر القبور له أرض يخدمها ولا يأكل إلا منها، زاره السلطان الظاهر بيبرس، ومات بالإسكندرية.<sup>6</sup>

وعند ذكر فئة المتصوفة المغاربة بمصر المملوكية لا يفوت ذكر شرف الدين محمد بن سعيد البوصيري (ت 696 هـ / 1296 م)، اشتهر بقصائده في مدح النبي صلى الله عليه و سلم و أبرزها البردة.<sup>7</sup>

والشيخ الزاهد الأستاذ أحمد البدوي (ت 675 هـ / 1276 م)، الفاسي مولدا، انتقل للمشرق وانتهى به الأمر بالاستقرار بطنطا، وكذلك محمد بن تازمارت المغربي، فرغم منع سلاطين المماليك للمنشدين والقصاصين إلا أن بن تازمارت مُنح ترخيصا استثنائيا بذلك، سنة 738 هـ / 1338 م.<sup>1</sup>

<sup>1</sup> - نفسه، ص 261 .

<sup>2</sup> - أحمد بابا التنبكي، مصدر سابق، ص 310 .

<sup>3</sup> - أبو الحسن الششتري الأندلسي: وهو علي بن عبد الله الششتري النميري اللوشي، نسبة لششتر وهي من أعمال قادس كان من الأسياد والأعيان ثم أصبح من الفقهاء والمعلمين زمن الاضطراب بالأندلس ليتهيأ للتصوف والسمع، ينظر: علي سامي النشار: أبو الحسن الششتري الأندلسي، الرجال وأثره في العالم الإسلامي، مجلة المعهد المصري للدراسات الأندلسية، ع1، 1953، ص 129.

<sup>4</sup> - أبو العباس أحمد بن أحمد الغبريني (ت 714)، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، منشورات دار الآفاق الجديدة، ط2، بيروت، 1979، ص 113.

<sup>5</sup> - نفسه، ص 131.

<sup>6</sup> - السيوطي، حسن المحاضرة، مصدر سابق، ج1، ص 520.

<sup>7</sup> - عاشور منصورية، مرجع سابق، ص 273 .

كما ساهم المتصوفة المغاربة في مختلف مجالات الحياة السياسية والعسكرية والثقافية والاجتماعية من مشاركة في الجهاد ضد الصليبيين والمغول، والتدخل لدى السلاطين لقضاء حاجات العامة، وفي الجانب الثقافي والعلمي شغلوا بالتدريس والوعظ والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتصدي لحملات التنصير، فقد عمل السيد البدوي بطنطا وعبد الرحيم القنائي بقنا في إعادة من تأثر بمثل هذه الدعوات، فنجد الأقصري تلميذ عبد الرحيم القنائي ينجح في إعادة أهل الأقصر للإسلام بعدما دخلوا في النصرانية لسنوات.<sup>2</sup> كما عملوا على تنقية الاعتقادات العبيدية في أوساط المجتمع المصري وإرساء قواعد المذهب المالكي السني.<sup>3</sup>

تعاطى المغاربة بمصر المملوكية مع مختلف أوجه الحياة تعلمًا وتعلِيمًا ومشاركة في شؤون البلاد التي استقبلتهم، ووفرت لهم كل سبل المعيشة، كل حسب مستواه الثقافي والمالي والاجتماعي، وكان ردهم للجميل تحمل عدة وظائف ومهام لغرض تأمين مصدر رزقهم من جهة، و من جهة أخرى المشاركة في تنمية موطنهم الجديد؛ سياسيا، علميا، اقتصاديا واجتماعيا، ولهذا من الطبيعي أن تتنوع طبقاتهم وتختلف مهنتهم ووظائفهم، فأما العلماء والفقهاء فقد تقلدوا الوظائف الدينية والخطط الإدارية، وكان لهم نصيب وافر منها، وحققوا شهرة كبيرة، ليأتي التجار الذين كانوا فئة لا بأس بها نظرا للعلاقات التجارية التاريخية بين الغرب الإسلامي ومصر طيلة الفترات التاريخية الإسلامية، كما اشتغلوا بالحرف والصناعات حتى يتوافر لهم قوت يومهم، فيعيشون مصونين، لتبرز فئة من المغاربة بمصر المملوكية وهي طبقة المتصوفة والزهاد لما عرفته مصر خلال فترة البحث من تشجيع للتصوف بإنشاء الزوايا والخانقوات التي أجريت عليها الأوقاف والأرزاق من قبل سلاطين المماليك، وكذا الميسورين من المجتمع المصري.<sup>4</sup>

جدول رقم 4: التوزيع النسبي لطبقات وفئات المغاربة بمصر عصر سلاطين المماليك في حدود الشخصيات المذكورة في البحث :

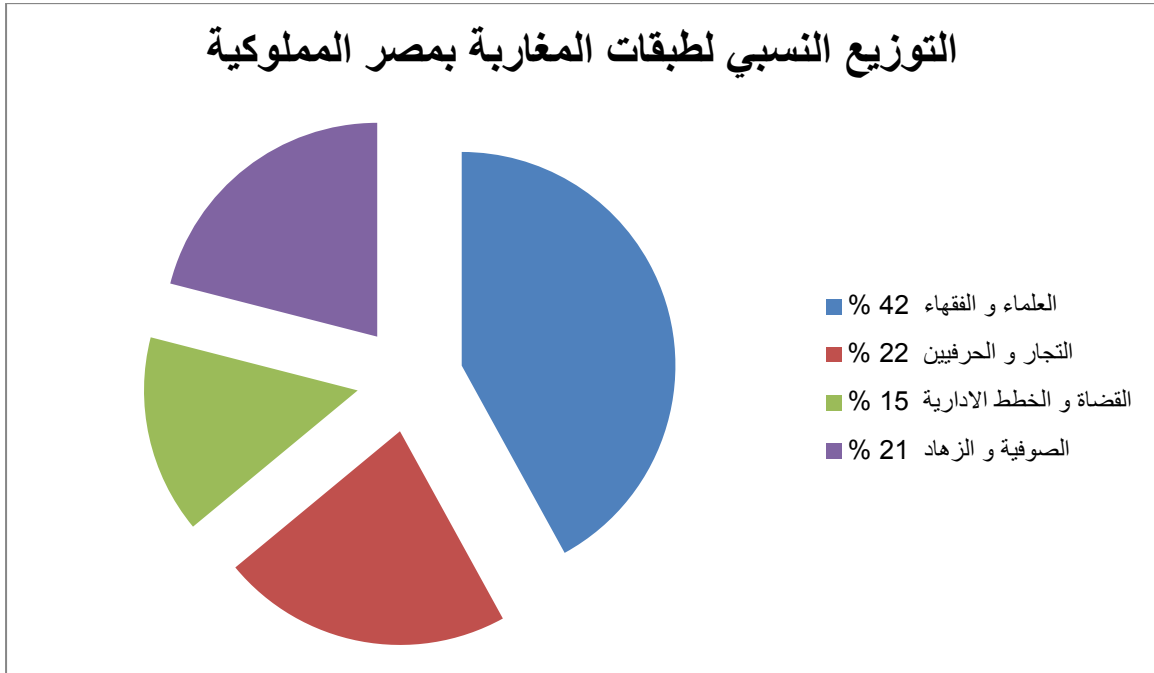
عدد الشخصيات المذكورة في البحث	فئة العلماء والفقهاء	فئة التجار والحرفيين	القضاة والخطط الإدارية	أهل التصوف والزهد
115	48	26	17	24
النسبة	%42	%22	%15	%21

<sup>1</sup> - ابن حجر، الدرر الكامنة، مصدر سابق، ج3، ص 412.

<sup>2</sup> - حسين أبو لبابة، موقف متصوفة المغرب وزهادها من الاحتلال العبيدي، دار اللواء للنشر و التوزيع، الرياض، 1979 ص 35 .

<sup>3</sup> - عاشور منصورية، مرجع سابق، ص 280.

<sup>4</sup> - علي أحمد، الأندلسيين و المغاربة في بلاد الشام، مرجع سابق، ص 365.



من إعداد : أصحاب البحث

من خلال النسب الموضحة بالجدول و الدائرة النسبية يتبين ما يلي:

- تنوع طبقات المغاربة بتنوع واختلاف فئات المجتمع المصري خلال فترة الدراسة .
- مدى تفاعل المغاربة مع مختلف أوجه الحياة الاجتماعية بمصر خلال عصر المماليك .
- شكل العلماء و الفقهاء الطبقة الأكثر حضورا وتفاعلا، بنسبة 42 %، وهذا يدل على مدى ازدهار الحياة العلمية بمصر المملوكية، كما يدل على الأولوية القصوى التي يوليها المغاربة للعلم و دراسته .
- لتأتي طبقتي التجار وأصحاب الحرف والمهن مع طبقة الصوفية والزهاد بسبة متقاربة. فأما التجار فلما تمثله مصر المملوكية من مركز تجاري إسلامي حينها، ونقطة تواصل بين الشرق والغرب، وأما الصوفية فنتيجة لما عرفته العالم الإسلامي عموما خلال فترة البحث من تحول الحركة الزهدية إلى ظاهرة اجتماعية عرفت بالصوفية.
- لم يكن المغاربة بمعزل عن الحياة السياسية والإدارية بمصر المملوكية، بل أُسِدَّت لهم مهام قضائية وإدارية ووظائف سلطانية، لما عُرفوا به من ثقة وحسن تدبير، وللمكانة التي تميزوا بها لدى أهل مصر، من قبل السلاطين والأمراء والعلماء والفضلاء وعامة المجتمع المصري.<sup>1</sup>

<sup>1</sup> - عاشور منصورية ، مرجع سابق ، ص 246 .

## المبحث الثاني: العادات و التقاليد

## 1- الزواج

كان المجتمع المصري خلال فترة الدراسة يرى بأن الزواج من الأمور العائلية الخاصة، تمليه وتفرضه وتتحكم فيه النظم الاجتماعية التي تتبعها العائلة وانتمائها، بالإضافة لمصالحها ومكانتها، وكانت العائلات من المغاربة، كباقي الطوائف الوافدة لمصر، وحفاظا على هويتها المغربية وتميزها الاجتماعي، مع كونهم أي المغاربة يسكنون كما أسلفنا في البحث؛ حارات وأحياء وأروقة خاصة بهم، يتزوجون من داخل العائلة في أغلب الأحيان، وحرص المغاربة على حصر الزيجات من نفس الفئة وخاصة الأجيال الأولى الوافدة.<sup>1</sup>

فقبيلة هواة المغربية كانت تزوج البنات من داخل القبيلة، ومن حرصهم على ذلك، الزواج بمن توفي عنها زوجها المغربي، فقد تزوج عيسى المغربي وهو رجل صالح كان يلحق القران بزوجة عمر بن عثمان الأندلسي التكروري في القرن 9 هـ/15 م.<sup>2</sup>

إلا أن المغاربة لم يكونوا منغلقيين لدرجة كبيرة، بل كانت هناك زيجات من خارج العائلة، فيذكر السخاوي في الضوء اللامع أن عائشة ابنة سعد بن عبد الله المغربي قد تزوجت من شهاب الأسيوطي وأنجبت منه وكان ذلك بالقاهرة<sup>3</sup>، ومن الأمثلة عن زواج المغربي بالمصريات، نذكر خليل بن أبي بكر بن علي بن عبد الحميد الأندلسي الذي تزوج من صالحة بنت النور علي ابن الملقن وأنجب منها ولدين<sup>4</sup>، وإبراهيم بن علي الأندلسي القنائي (ت 656 هـ/1258م الذي تزوج بمدينة قنا، بعد عودته من الحجاز.<sup>5</sup>

ويلاحظ في عادات الزواج عند المغاربة، أنهم يزوجون بناتهم في الغالب وهن قاصرات أي صغيرات السن، وهذه العادة شائعة عند المجتمع العربي، فجاء عند السخاوي في كتابه الضوء اللامع أن مغربيا تزوج من بكر وهو: يحيى بن أحمد القسنطيني القاهري (ت 888 هـ/1483م).<sup>6</sup>

1 - حسام محمد عبد المعطي، المغاربة في مصر خلال القرن الثامن عشر، مرجع سابق، ص، ص 32-35.

2 - محمد جمال الشوربيجي، مرجع سابق، ص 238.

3 - السخاوي، مصدر سابق ج12، ص 85.

4 - نفسه، ج03، ص 194.

5 - الادفوي، مصدر سابق، ص 60.

6 - السخاوي، المصدر السابق، ص10، ص217.

كما كانت ظاهرة تعدد الزوجات منتشرة في المجتمع المصري خلال عصر سلاطين المماليك، وكان المغاربة بمصر ممن تزوج بأكثر من واحدة، فتذكر المصادر أن عددا منهم تزوج بعدة زوجات، فمحمد بن احمد الشهاب الصنهاجي السكندري القاهري ( ت 886 هـ/1482م) تزوج بعدة زوجات<sup>1</sup>.

كما عرف لدى الأوساط المغربية بمصر خلال فترة الدراسة، ممن عزف عن الزواج، فيذكر السخاوي عند الترجمة لحمزة بن محمد البجائي المغربي ( ت 872 هـ/1482م) نزيل القاهرة أنه لم يتزوج<sup>2</sup>.

## 2- المأكّل و المشرب

وتشير المصادر أن مختلف طبقات المجتمع المصري عصر سلاطين المماليك من المسلمين كانوا يتناولون طعامهم في بيوتهم و هم جلوس على الأرض، مع التزامهم بالآداب الإسلامية الخاصة بالأكل؛ من التسمية في أوله والحمد والشكر في آخره، والاعتماد على الفخذ الأيسر عند الجلوس والأكل بثلاثة أصابع، مع مراعاة تصغير اللقمة وتطويل المضغعة وعدم الكلام أثناء الأكل<sup>3</sup>.

كما كثرت الولايم عصر المماليك الخاصة بمختلف المناسبات من زواج أوختان، أو تشييد منزل جديد أو قدوم مسافر أو حاج أو معتمر، فعبد الله المغربي ( ت 749 هـ/1349م) كان يصوم الدهر ويفطر إذا دُعي إلى وليمة<sup>4</sup>.  
ومن بين الأطعمة التي تناولها المغاربة بمصر في العهد المملوكي:

**الخبز:** يُعد الخبز من الأطعمة الأساسية منذ العصور القديمة، وهو أساس المائدة، فهو اسم جمع مفردة خبزة، والظلمة كتلة العجين التي تحبز، وقد شكل الخبز الغذاء الرئيسي للمغاربة، ويصنع من دقيق الحبوب؛ كالمح، الشعير والذرة، ولقد كان الخبز من الأطعمة التي يتناولها طلبة العلم برواق المغاربة بالأزهر الشريف، فقد اشترط صاحب وقف أن يكون لشيخ رواق المغاربة ضعف ما للطلبة، فإذا كان الطالب يحصل على ثلاثة أرغفة من الخبز الجيد، كان للشيخ ستة أرغفة، وهذا يشير إلى أن الخبز كان من أهم الأطعمة اليومية المتناولة<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - السخاوي، مصدر سابق، ج 8، ص 116.

<sup>2</sup> - نفسه، ج 1، ص 167.

<sup>3</sup> - سعيد عاشور، المجتمع المصري، مرجع سابق، ص 117.

<sup>4</sup> - ابن حجر، الدرر الكامنة، مصدر سابق، ج 3 ص 98.

<sup>5</sup> - توفيق محمد لقبابي، مرجع سابق، ص 107.

وما يؤكد ذلك ذكر الخبز كطعام في كتب التراجم و السير لشخصيات المغاربة، فعند السخاوي أن عبد العزيز بن مسلم المستناني المغربي ( ت 874 هـ/1470)، كان يخرج لضيوفه الخبز و السعتر مع الماء وكان يأكل معهم.<sup>1</sup> كما يقول ابن حيان الأندلسي ( ت 754 هـ/1353م) يكفي الفقير في مصر أربعة أفلس بشتري طلّمة بائنة بفلس للعشاء، وأخرى للغذاء.<sup>2</sup> وكان محمد المغربي القاهري الشاذلي ( ت 911 هـ/1506م) طعامه الخبز فيقوم بتفتيت الخبز اليابس مع الماء ويأكله.<sup>3</sup>

**الكسكس** : اختص به أهل الغرب الإسلامي دون غيرهم، وهو من الأطعمة المعروفة لديهم، يصنع من الدقيق بعد تحويره، كما يسمى الكسكاس، أو الكسكسو، أو الكسكسون، يقول المقرئ " إنه طعام المغاربة و يشتهونه على كثرة استعمالهم له " <sup>4</sup>

**اللحم**: عرّف المغاربة على اختلاف أقطارهم أكل اللحم، الذي يعتبر سيد طعام موائلهم، في بلادهم لوفرتة و وفرة مصادره وأسواقه، وقد اشتهر المجتمع في مصر المملوكية بأكل اللحم على اختلاف أنواعه؛ الضأن و البقر و الدجاج و السمك، شويًا أو طبخًا، و كانت كل طبقة من المغاربة تستخدم اللحم في طعامها على حسب مكانتها و قدرتها الاقتصادية، فنجد الميسورين من المغاربة بمصر خلال عصر سلاطين المماليك مثل التجار و القضاة، يكثرون أكله، فأبو زكريا بن محمد التلمساني كان عندما يحضر لديه أصحابه من الأدباء يحضر لهم اللحم سنة (662 هـ/1264م).<sup>5</sup>

أما أهل البدو من المغاربة فقد كانوا يمتلكون ثروة حيوانية هائلة، مكنتهم من توفير اللحوم و بشكل منتشر، فعندما تغلب سلاطين المماليك على قبيلة هوازة سنة (822 هـ/1419م) أخذوا منهم ما قيمته مئتي ألف فرس، وألف جمل، وستمئة رأس جاموس وخمسة عشر ألف رأس من الغنم، فهذه الثروة مصدرًا لطعامهم وشرابهم ولباسهم.<sup>6</sup>

<sup>1</sup> - السخاوي، مصدر سابق، ج4، ص 235.

<sup>2</sup> - ابن حجر، مصدر سابق، ج6، ص 65.

<sup>3</sup> - نجم الدين محمد بن محمد الغزي (ت 1061هـ)، الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، ج1، ص 80.

<sup>4</sup> - المقرئ، مصدر سابق، ج2، ص 124.

<sup>5</sup> - بن موسى الحسن علي ابن سعيد المغربي (ت 685هـ) الغصون البانعة في محاسن شعراء المائة السابعة، تح: إبراهيم الأبياري، دار المعارف د.ط، مصر د.س، ص 35.

<sup>6</sup> - المقرئ، السلوك، مصدر سابق، ج6، ص 501.

بالإضافة إلى أنواع أخرى من الأطعمة التي كانت منتشرة بمصر المملوكية، وتناولها المغاربة فيقول عز الدين المقدسي (ت820هـ/1417م) الذي عاصر الدولة المملوكية عن أنواع الأطعمة المنتشرة في الأسواق "الباذنجان، والبطبخ ولحم وفول حار وحمص مسلوق وعدس وأوز ودجاج وسمك وألبان منفحة، وأجبان مشرحة، والأرز والفلفل...". ومن الحلوى وأنواعها والسكر وما يستخدم منه من أنواع الإطباق والمشروبات، أما الإدام فكان أشهره الزيت، والذي يعتبر منتوجا مغاربيا يأتي إلى مصر من تونس خاصة، و ما يشهد على أكل المغارب لأصناف أخرى من المأكولات ما كان ينفق من أرزاق و أقوات على الطلبة برواق المغربة من حلوى و سكر.<sup>1</sup>

- **الماء:** يُعتبر الماء المشروب الرئيسي لحياة الإنسان، وكما انه مشروب فهو يدخل في أمور أخرى مثل الأطعمة و إعدادها ومنها الزراعة، بل تجلى روحيا لدى الصوفية من ناحية الكرامة، و تنوعت مصادره بمصر من ماء الأمطار و الآبار و العيون، وأهمها و أشهرها واد النيل، و روافده، أما القبائل بالصحراء فكانت مصادره قليلة. هذا بالإضافة لكونه يُباع في فترات من عهد سلاطين المماليك، و كان المغاربة يشترون الماء لسد حاجياتهم، فيذكر ابن حجر في الدرر عن أنير الدين أبو حيان الأندلسي (ت 745 هـ) قوله " يكفي الفقير بمصر أربعة أفلس كل يوم منها فُلس يشتري به ماء".<sup>2</sup>

و قد عمل بعض المغاربة في مهنة السقاية، فتذكر المصادر أن مغربيا اشتغل سقا بنقل الماء من النيل بقربة.<sup>3</sup> **اللبن:** وهو خلاصة ما اقتات به الإنعام، إذ تميز المغاربة وخاصة قبائل البدو منهم كهوارة وغيرها بامتلاك الحيوانات من الأغنام والماعز وكذا الإبل، فكانوا يعتمدون اعتمادا كبيرا على ألبانها في الشرب، وتكمن قيمة اللبن على حسب النباتات التي ترعاها حيواناتهم، فالمغاربة كانوا يمتلكون ثروة حيوانية هائلة، فعندما تغلب سلاطين المماليك على قبيلة هوارة سنة (822 هـ/1419م) أخذوا منهم ما قيمته مئتي ألف فرس، و ألف جمل، و ستمئة رأس جاموس و خمسة عشر ألف رأس من الغنم، فهذه الثروة مصدرا لطعامهم و شراهم و لباسهم.<sup>4</sup>

1- توفيق محمد لقباي، مرجع سابق، ص 107.

2- ابن حجر، الدرر الكامنة، مصدر سابق، ج6، ص 65.

3- بلقاسم الطباي، مرجع سابق، ص 241.

4- المقرئ، السلوك، مصدر سابق، ج6، ص 501.

واللبن كما يستعمل كشراب فانه يدخل في تركيب الأجبان وبعض المأكولات وهو أنواع؛ اللبأ<sup>1</sup>، واللبن الحليب<sup>2</sup>، واللبن الخليط<sup>3</sup>، واللبن الرثيقة<sup>4</sup>، واللبن الحامض، واللبن الشنين<sup>5</sup>.

- **الخمر:** كانت الخمر في مصر عصر سلاطين المماليك منتشرة وفي متناول مختلف طبقات المجتمع، وكانت تعصر وتباع على رؤوس الأشهاد، وسجل رحالة أوروبيين زاروا مصرًا خلالها انه لم يجدوا صعوبة في الحصول على نبيذ، وعُرفت منه أنواعا كثيرة، مثل الخمر الذي يُصنع من لبن الخيل ويُسمى: القمز وآخر من القمح ويطلق عليه المزر وأنواع أخرى من الزبيب بعدما تحمر بمواد إضافية، ولم يكن المغاربة بمنى عن تعاطي الخمر بحكم تداخلهم وتفاعلهم مع المجتمع المصري وخاصة الأندلسيين فيذكر ابن حجر أنّ شيخا مصريًا عاب على شيخ أندلسي بان أهل الأندلس يشربون الخمر.<sup>6</sup>

### 3- اللباس

كان للمغاربة عادات وتقاليد استمرت معهم للأقطار التي وفدوا عليها، وكان منها اللباس، الذي رغم قلّة الدراسات حوله إلا أنّه يُعطي مؤشرا مهما عن القيم الحضارية والثقافية التي تميز فئة المغاربة، وتعكس أصالتهم وتعبر عن الاختلاف بينهم وبين باقي فئات المجتمع المصري، ورغم ندرة وقلة ما جادت به المصادر من معلومات إلا أنّها تعطينا إشارات مهمة عن نوع اللباس المغربي في مصر خلال العصر المملوكي ومدى حفاظ المغاربة على هويتهم في مجتمع يتميز عنهم.<sup>7</sup>

فتنوعت ملابس المغاربة بتنوع طبقاتهم وفئاتهم من علماء وقضاة وتجار وأهل التصوف والزهد، وكذا أصحاب البادية والترحال، فكانت الملابس بين الحسن الجميل والرث البالي، معبرة عن حالة المغربي في المجتمع المصري، فاختلفت

1- اللبأ: هو الذي يتم حلبه وقت الولادة، ينظر: حمد ابن إبراهيم الزندي، كتاب الأغذية، تح: محمد العربي الخطابي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1990، ص 240.

2- اللبن الحليب: الحلو الحديث العهد بالحلب، ينظر: بلقزيز محمد بن عبد الجليل، حضارة و ثقافة عبر أطعمة و أشربة بطريقة التأثيل، مطبعة الدار الجديدة، ط1، الدار البيضاء، 2010، ص، ص 245، 240 .

3- اللبن الخليط: هو خليط بين لبن الضان و المعز او الإبل و الغنم، ينظر: نفسه، ص 253.

4- اللبن الشنين: لبن حلو مع لبن حامض يترك مدة و يستخرج منه سائل أصفر ويبقى الخائر ينظر: نفسه، ص 253

5- و هو الذي يخلط بالماء، ينظر: نفسه ص 243 .

6- سعيد عبد الفتاح عاشور، المجتمع المصري، مرجع سابق، ص 157.

7- حسن محمد بركة، المغاربة و الأندلسيين في بلاد الشام في العصر المملوكي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1 القاهرة، 2023، ص-ص 371-372.

أنواعها فكانت تعرض في سوق المغاربة بالإسكندرية أنواع الثياب والفرش المغربية من البرانس والملاحف والخفاف ذات الطرز المغربي، والبسط الصوفية.<sup>1</sup>

فأمّا عن حُسن وجمال لباس المغاربة، وهي الحالة الغالبة عليهم فتذكر المصادر حسن وجمال ملابس وهيئة أهل الغرب الإسلامي، فيصف لنا البلوي حُسن هيئة وجمال ملبس أبو زكريا يحيى بن ذي حي الصنهاجي<sup>2</sup>، أما المقرئ في كتابه المقفى الكبير فيقول عن أبو عبد الله ابن الحداد الفاسي ( 722 هـ/1322م) " لطيف الشمائل، حسن الملبس "<sup>3</sup>، ويشيد أيضا السخاوي بجمال ملبس المغاربة فترجم لأبو العباس بن أبي يحيى الحسيني القيرواني ( ت 891 هـ/1486م) بقوله " متجملاً في ملبسه و مركبه "<sup>4</sup>.

### لباس البدن:

ومن لبس المغاربة الذي عُرفوا به؛ **الجوخ**<sup>5</sup> الذي كان لبسا مميزا للمغاربة فجاء عند السخاوي أن احمد البدوي كان كان يلبس ثوبا من جوخ<sup>6</sup>، وكذلك المسح بالكسر وهو ثوب خشن غليظ، فمحمد بن سلامة التوزري ( ت 806 هـ/1404م) كان يرتدي مسحا أسودا.<sup>7</sup>

كان من لبس المغاربة **العجة** المغربية، وهي أشبه بالمعطف تحيط بالبدن ولها كمان، ومصنوعة من الصوف، يلبسها الخواص والعوام من أهل المغرب، فأبو حفص البجائي المغربي ( ت 919 هـ/1514م) كان يلبس جبة سوداء واسعة الأكمام<sup>8</sup>، ويذكر ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة أحد الأمراء المماليك وكان فارا هاربا فيقول " وكان عليه جبة صوف من لبس المغاربة "<sup>9</sup>.

<sup>1</sup> - عبد الرحيم عبد الرحمان عبد الرحيم، مرجع سابق، ص 57-58.

<sup>2</sup> - البلوي، مصدر سابق، ج، 1، ص 65 .

<sup>3</sup> - المقرئ، المقفى الكبير، مصدر سابق، ج 6، ص 14.

<sup>4</sup> - السخاوي، مصدر سابق، ج 1، ص 249.

<sup>5</sup> - الجوخ: كلمة فارسية معربة، وأصلها في الفارسية: جوخا، وهي أيضاً في التركية: جوخه، من الكلمات المشتركة بين الفارسية والتركية، والجوخة واحدة الجوخ، وهو نسيج صفيق من الصوف، والجوخة: ثوب قصير الكمين والبدن بغير بطانة من تحته ولا غشاء من فوقه، يتخذ من الصوف الثخين. وكانت الجوخة ثياباً للمغاربة، ينظر: د. رجب عبد الجواد إبراهيم، المعجم العربي لأسماء الملابس، دار الآفاق العربية، ط، 1، القاهرة، 2002، ص 119.

<sup>6</sup> - السخاوي، المصدر السابق، ج 9، ص 150.

<sup>7</sup> - نفسه، ج 7، ص 255.

<sup>8</sup> - ابن العماد الحنبلي، مصدر سابق، ص 133.

<sup>9</sup> - ابن تغري، مصدر سابق، ج 15، ص 315.

ومن ملابس أهل الغرب الإسلامي البرنس الأبيض أو المخطط المصنوع من الصوف عادة، ويستخدم غالبا في الشتاء حماية من البرد والمطر، وكان يرتديه جميع طوائف المغاربة، وهو يعتبر من الأشياء الثمينة عندهم، حتى اتخذوه هدية تَهدي للملوك والسلاطين، فقد أهدى السلطان أبو الحسن المريني إلى سلطان مصر المملوكي برنسا مع هدايا أخرى<sup>1</sup>. كما تميز رجال قبيلة هواة بزّي تمثل في زمط<sup>2</sup> وعليه شاش وملوطة<sup>3</sup>.

ولانتشار وتنوع لباس المغاربة بمصر كانت تعرض في سوق المغاربة بالإسكندرية أنواع الثياب والفرش المغربية من البرانس والملاحف والخفاف ذات الطرز المغربي، والبسط الصوفية<sup>4</sup>.

كما عرف المغاربة ارتداء السراويل، وهي تستر أسفل البدن وتكون مفصلة ومخيطة، و تتكون من حجرة وساقين<sup>5</sup>.

5

### لباس الرأس:

وأما غطاء الرأس فقد تنوعت بين العمامة، والطيالس، والقلنسوة، فأما الطيالس فقد تميز بها المغاربة من أهل الأندلس من العلماء و الوجهاء، وهي عبارة عن لباس يلتقى على الرأس والكتفين، وأحيانا على الكتفين فقط، فيشير المقرئزي إلى أن الوزير ابن سهل الغرناطي (662 – 730هـ) لا يتعمم بل يتطينس على طاقة<sup>6</sup>. والقلنسوة من أغطية الرأس، وقلنس الشيء أي غطاه وستره، وجمعها قلانس وهي على أشكال مختلفة، وخاصة الطويلة التي أصبحت في اغلب الأوقات علامة على مظهرهم<sup>7</sup>.

أما العمامة فهي من ملابس الرأس التي توارثها المغاربة جيلا عن جيل، وهي ما يلاث على الرأس تكويرا و تدويرا وهي من الزّي الإسلامي العربي، وتصنع عادة من الصوف أو الكتان، أما لوئها فهو الأبيض غالبا وقد تكون سوداء، حيث كان ابن خلدون يرتدي عمامة خفيفة أنيقة، واحمد البدوي كان عليه عمامة صوف رفيع<sup>8</sup>.

1 - محمد بركة، مرجع سابق، ص 373 .

2 - الزمط: قلنسوة حمراء تكون على الرأس، ينظر: مبارك طراونة، الحياة الاجتماعية في بلاد الشام عهد المماليك الجراكسة، دار جليس الزمان، ط1 ، عمان، 2010، ص 371.

3 - محمد جمال الشوريجي، مرجع سابق، ص 238 .

4 - عبد الرحيم عبد الرحمان عبد الرحيم، مرجع سابق، ص 57-58.

5 - محمد جمال الشوريجي، مرجع سابق، ص 258 .

6 - المقرئزي، المقفى الكبير، مصدر سابق، ج7، ص17.

7 - الحاج عيفة، مرجع سابق، ص 252.

8 - السخاوي، مصدر سابق، ج9، ص150.

## لباس القدمين:

كما اتخذ المغاربة الخف والنعل لباسا للقدمين، وكانت تصنع من الجلد نظرا لوفرة الثروة الحيوانية.<sup>1</sup> أما ملابس النساء في مصر المملوكية: فقد أورد سعيد عاشور في كتابه المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك بأن الأوربيين الذين زاروا مصر في تلك الفترة اجمعوا على تشابه لباس نساء مصر المسلمات من حيث شكلها العام في المدن، وهو قميص واسع طويل يلامس الأرض له أكمام واسعة، وفوق القميص ازار يغطي جميع البدن و يعلو كل الملابس، ولون الإزار الخارجي ابيض بالنسبة لجميع المسلمات، ثم أصبح الأسود يميز المتزوجات.<sup>2</sup> ومن هنا لا شك أن نساء المغاربة من المسلمات المصريات ولو لوحظ اختلاف لذكر.

كما حرص نساء مصر على تغطية الوجه بالنقاب أو الخمار أو بربق المصنوعة من الكتان وكان يطرز عند نساء الطبقات الخاصة والميسورة.<sup>3</sup>

وقد كان المغاربة على تعلق بوطنهم المغرب، ظاهرا وباطنا، وما تمسكهم بملابسهم المغربية إلا دليل ذلك، فظهر ابن خلدون بزيه المغربي عند ملاقاته لتيمولرنك، فعندما رآه الملك تيمورلنك مع باقي القضاة قال لهم: هذا الرجل ليس من بلادكم، لفته الزي المغربي، حيث كان ابن خلدون يرتدي عمامة خفيفة أنيقة، عليه جبة على كامل طوله، بها حاشية حالكة السواد<sup>4</sup>، وكذلك أبو عبد الله محمد بن سلامة النويري المغربي بالمعروف بالكركي، كان يجلس عند السلطان برقوق ولم يغير لبسه.<sup>5</sup>

أما المغاربة من أهل التصوف فكان غالب لباسهم الاقتصاد، من الصوف، لما فيه من التقشّف والبعد عن التمتع، ولبسوا في القرن العاشر الهجري المرقعات الملونة حمر وخضر وصفر وسود، وأطلق على الرداء الذي يلبسه الصوفية بالخرقة حتى أصبح شعارا يميزهم، وبالغ بعضهم في التخشن في الثياب مثل السيد البدوي (ت 675هـ) كان إذا لبس ثوبا أو عمامة لا ينزعها لغسل أو لغيره حتى تذوب فيبدلوها بغيرها.<sup>6</sup>

<sup>1</sup> - عبد الكريم بصديق، اللباس الرجالي بالمغرب الأوسط في العصر الوسيط، مجلة انثروبولوجيا، مع 7، ع 1، جامعة باتنة، 2021، ص 54.

<sup>2</sup> - سعيد عبد الفتاح عاشور، المجتمع المصري، مرجع سابق، ص 239.

1- نفسه، ص 241.

4-الحاج عيفة، مرجع سابق، ص 252.

5- ابن تغري بردي، مصدر سابق، ج 12، ص 165.

6- سعيد عبد الفتاح عاشور، المجتمع المصري، مرجع سابق، ص 238.

ومن مميزات المظهر العام للفرد الصوفي إعفاء الشارب واللحية كسائر فئات مجتمع مصر في تلك الفترة، وما يؤكد ذلك قول السخاوي في الضوء اللامع عند ترجمة أحد الأعلام قوله " وإذا تفقّد صاحب وقف صوفية الزاوية التي أنشأها، ووجد أحدهم أمرداً أمتنع عن تقريره في الزاوية وطرده " عند ترجمة محمد بن يوسف ابن علي.<sup>1</sup>

أما اليهود المغاربة فقد كان لباسهم مثل عامة اليهود بمصر المملوكية إذ فُرضت عليهم من طرف السلاطين والأمراء ملابس تميزهم عن غيرهم، من ذلك منع عليهم لبس الثياب ذات الأكمام الواسعة كهيئة قضاة الإسلام، واشترط أن تكون لباسهم قصيرة وليست بالطويلة، وتقصير العمام وتلوينها بالأصفر، وكان اليهود المغاربة بمصر المملوكية يحرصون على تطبيق ذلك مخافة بطش الحكام وأذية العامة، أما إذا دخل بيته فيلبس ما شاء من الثياب الفاخرة وغيرها.<sup>2</sup>

### المبحث الثالث: الخُصوة الاجتماعية للمغاربة في العهد المملوكي

لقي المغاربة الوافدين لمصر المملوكية من المغرب والأندلس من الحجاج والعلماء والرحالة، والمهاجرين مؤقتين أو مستقرين معاملة ملؤها المحبة والألفة والتقدير والاحترام من كل فئات المجتمع المصري؛ سلاطين وأمراء وعلماء وعامة أهل البلد، فعاش المغاربة في ظلّ هذه المكانة على نمط عيشهم بالغرب الإسلامي، بل ساهموا وتفاعلوا مع الحياة العامة للمجتمع المصري.

#### 1- مكانتهم عند السلاطين و الأمراء:

كانت للمغاربة من أهل المغرب والأندلس مكانة وحظوة لدى السلطة المملوكية الحاكمة بمصر، ويتبين ذلك من خلال الشواهد العديدة المستخرجة من كتب التاريخ والرحالة والتراجم والطبقات من ذلك المكانة التي حظي بها ابن خلدون لدى السلطان المملوكي برفوق، ودامت طوال حياة السلطان وحكمه، فتقلّد أعلي المراتب من قضاء وتعليم ومناصب سياسية، وأخرى دبلوماسية، وكانت بينهما صحبة وألفة يقول ابن خلدون في ذلك " منذ أن وصلت مصر و السلطان يجبوني بعطفه، لقد أنساني فرقتي وابتعادي عن وطني ".<sup>3</sup>

1- السخاوي، مصدر سابق، ج 10، ص 96.

2- سعيد عبد الفتاح عاشور، المجتمع المصري، المرجع السابق، ص 239.

3- ابن خلدون، مصدر سابق، ص، ص، 107، 97.

وتعبيرا عن مكانة أهل المغرب والأندلس لدى السلطة المملوكية قرَّب العديد من السلاطين والأمراء المغاربة وخاصة أهل الفضل والعلم منهم؛ بتقليدهم المناصب الرفيعة في الدولة، فلقد وصل الأمير بدر الدين المغربي (ت 698 هـ/ 1299م) إلى منصب رفيع المستوى، وهو منصب الدوادارية، وهي مهمة يشرف صاحبها على مصالح السلطان وينفذ ما يأمر به ولا يكتمه شيئا ولا تُسند إلا لمن حظي بثقة السلطان، وكان من حاشيته وأقربائه، أسنده إليه السلطان المنصور لاجين وأمره بإعادة إعمار جامع ابن طولون وهذه حظوة ومكانة تُشرف المغاربة.<sup>1</sup>

كما تقلد عبد الواحد ابن إسماعيل الإفريقي (ت 786 هـ/ 1384م) منصب كاتب السر لدى السلطان، وهو من أهم المناصب الإدارية ولا يحضى بها إلا من له شأن عند السلطان، لما يسمح لصاحب كتابة السر من الاطلاع على كل أمور الدولة، وكان في زمن السلطان الظاهر بوقوق.<sup>2</sup>

كما استلم مغاربي آخر وهو: أحمد بن شرف الدين بن محمد عبد الهادي المغربي المعروف: بابن الشيخ (ت 787 هـ/ 1385م)، كشف منطقة الوجه البحري، وقد مُدَّت سيرته.<sup>3</sup> وعُيِّن في الحسبة بالإسكندرية يوسف بن محمد الفلاح المغربي (ت 875 هـ/ 1471م) ولم يسمع عنه ما يسيء لمسيرة عمله.<sup>4</sup> أمَّا العالم المغربي ابن أبي حجلة التلمساني (ت 778 هـ/ 1376م) فقد قرَّبه السلطان الناصر حسين بن السلطان محمد بن قلاوون.

وإكراما للعلماء المغاربة الوافدين لمصر وعند الاحتفال بالمولد النبوي في سنة 792 هـ/ 1380م وبحضور السلطان والأمراء والقضاة والعلماء وعامة الناس، اجلس السلطان الصوفي أبو عبد الله المغربي على يساره مباشرة، ثم الأمراء والقضاة والفقهاء يمينا وشمالا حسب مراتبهم، فهذا يدل على فضل هذا المغربي على سائر رجال الدولة.<sup>5</sup>

ومن الشواهد أيضا على ذلك؛ وصية السلطان الظاهر بيبرس البندقداري أن يُدفن مع أبو بكر البجائي المعروف بالمجنوب (ت 797 هـ/ 1395م)، بل وانفق في مؤنة كفنه ودفنه وقراءة الحتمات عليه.<sup>6</sup> كما كان السلطان بوقوق يجلس أبا عبد الله محمد بن سلامة النويري المغربي فوق قاضي القضاة.<sup>7</sup>

<sup>1</sup> - المقرئ، السلوك، مصدر سابق، ج 1، ص 882.

<sup>2</sup> - ابن حجر، إنباء الغمر، مصدر سابق، ص 295.

<sup>3</sup> - نفسه، ج 3، ص 207-208.

<sup>4</sup> - السخاوي، مصدر سابق، ج 10، ص 231، 233.

<sup>5</sup> - ابن تغري بردي، مصدر سابق، ج 9، ص 172.

<sup>6</sup> - المقرئ، السلوك، المصدر السابق، ج 2، ص 470.

<sup>7</sup> - ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج 12، ص 165.

ومن صور المكانة التي وصلها أهل التقوى من المغاربة، زيارة السلطان بيبرس للشيخ الشاطبي أبو عبد الله محمد بن سليمان المعافري الشاطبي الإسكندري، اشتهر بالعبادة والتقوى، عاش بالإسكندرية أيام الظاهر بيبرس وتوفي بها سنة (672 هـ/1273 م).<sup>1</sup>

ومن اهتمام وحب السلطة المملوكية للمغاربة تولية مشيخة دار الحديث الكاملية للعائلة المغربية القسطلاني، وأبرزهم تاج الدين علي ابن أبي العباس (ت 665 هـ/1267 م)، ومن تولى هذا المنصب - المشيخة - أبو العباس احمد شهاب الدين المغربي القسنطيني (ت 918 هـ/1513 م) بالقاهرة، كان متصدرا رواق المغاربة بالجامع الأزهر، كما حضي المغاربة بالتبجيل من السلاطين من خلال زيارة العلماء منهم كالزيارة التي قام بها السلطان الأشرف برسباي (825 - 841 هـ/1422 - 1438 م) أثناء زيارته للجامع الأزهر سنة (828 هـ / 1424 م) إلى الشيخين المغاربيين: خليفة المغربي (ت 829 هـ/1425 م) وسعيد بن عبد الله المغربي (ت 831 هـ/ 1428 م) والسؤال عن حالهما توقيرا لهما ولعلمهما، كما تم تسمية بعض المناطق باسم بعض القبائل المغاربية، وبأمر من السلطان الظاهر برقوق (784 - 801 هـ/ 1362 - 1398 م) كقرية الهوارية نسبة لقبيلة هوارية المغاربية العريقة، تقع بالقرب من الإسكندرية و قرية هوارية القبلية بالفيوم.<sup>2</sup>

ولقي المغاربة رعاية خاصة من سلاطين المماليك، من خلال تلك التسهيلات التجارية متمثلة في تخفيض الضريبة على البضائع والسلع، ففي عهد السلطان فرج بن برقوق (ت 815 هـ / 1412 م) أصدر أمرا بان يُؤخذ العُشُر بدل الثلث من التُّجار المغاربة، دون غيرهم من الشاميين والمصريين.<sup>3</sup>

1 - أحمد مختار العبادي، قيام دولة المماليك، مرجع سابق، ص 199.

2-صلاح حسن محمد، المكانة الاجتماعية للمغاربة في مصر في العصر المملوكي، مجلة كلية التربية، جامعة واسط، ع 41، ج 4، 2020، ص 196.

3 - سعيد عبد الفتاح عاشور، العصر المماليكي، مرجع سابق، ص 196.

## 2- عند العلماء

يمكن إلتماس مكانة المغاربة وخاصة أهل العلم منهم بمصر المملوكية من خلال العلاقة والتقدير والتركية من طرف نظرائهم من علماء مصر وأساتذتها وطلبة العلم المصريين، فمن ذلك ثناء تقي الدين ابن دقيق العيد ( ت 702 هـ / 1302 م ) على تلميذه التجيبي السبتي ( ت 730 هـ / 1330 م )، ومدى حبه للمغاربة وتوقيرهم حيث سماهم: عشاق مكة، كما طلب منه البقاء بمصر<sup>1</sup>.

ومن صور المكانة والثقة التي حضى بها المغاربة لدى العلماء أخذ واعتماد علماء مصر ومؤرخيها معلومات تاريخية من مصادر مغربية، وهذا دليل على مكانة علماء ومؤرخي الغرب الإسلامي عند أهل مصر فقد نقل عن ابن سعيد المغربي صاحب كتاب المغرب في حلى المغرب عديد المشاركة منهم القلقشندي صاحب كتاب صبح الأعشى في صناعة الانشا، كما اعتمد عليه أيضا المؤرخ السيوطي في كتابه حسن المحاضرة<sup>2</sup>.

ومن تجليات مكانة المغاربة لدى العلماء، العلاقة والصحة التي جمعت بين أبو الفضل المشدالي ( ت 864 هـ / 1460 م )، الذي دخل مصر سنة ( 849 هـ / 1445 م )، وتولى التدريس بالجامع الأزهر، مع محمد بن عبد الرحمان السخاوي مؤرخ مصر، حيث قال عن تلك الصحة والملازمة في الضوء اللامع " قد حصلت بيننا اجتماعات وصحة"<sup>3</sup>. وأشار السخاوي لعلو كعبه في الطب حتى أنه استدعاه لمداواة شيخه -أي شيخ السخاوي -الإمام ابن حجر حين ألم به مرض، ففرح ابن حجر بالمشدالي وابتهج به أيما ابتهاج، وهذا دليل على المكانة التي يوليها علماء مصر للمغاربة وأهل الفضل منهم<sup>4</sup>.

وأما مكانة العلامة ابن خلدون فلا تخفى على أحد إذ يقول المقرئ في صدّد الحديث عن المقدمة ومدى قيمتها العلمية وانفرادها في موضوعاتها ومضامينها " مقدمة لم يعمل مثلها، وانه لعزيز أن ينال مجتهد منالها، إذ هي زبدة العارف والعلم، ونتيجة العقول السليمة"<sup>5</sup>

ومن حسن المعاملة والاهتمام التي لقيها علماء أهل الغرب الإسلامي عند علماء مصر ووجهائها، ما عبر عنه أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر العبدري ( ت 747 هـ / 1346 م ) من الاهتمام الذي افتقده عند رفقاءه المصريين وحسن المعاملة التي لم ينالها في بلده، كما ارتبط ضياء الدين القرطبي بعلاقات محبة ومودة مع الشاعر

<sup>1</sup> - سعيد عبد الفتاح عاشور، العصر المالكي، مرجع سابق، ص 191.

<sup>2</sup> - الحاج عيفة، مرجع سابق، ص 140.

<sup>3</sup> - السخاوي، مصدر سابق، ج 3، ص 149.

<sup>4</sup> - نفسه، ج 3، ص 149.

<sup>5</sup> - السخاوي، المصدر السابق، ج 4، ص 147.

المصري جمال الدين أبي الحسين الجزار ( ت 679 هـ / 1280 م ) بمدينة قنا وحافظ أبناؤه من بعده على هذه العلاقة<sup>1</sup>.

هذا وقد أثر المغاربة في أهل مصر بنقل بعض العادات والتقاليد، ومن ذلك كلام المغاربة فنجد من العلماء من أصبح يحسن التحدث بكلام أهل المغرب حتى لا يشك السامع أنه منهم مثل المصري : محمد بن عمر الخصوصي القاهري ( ت 843 هـ / 1439 م )<sup>2</sup>.

لمس المصريون وسلطينهم صفة الصدق وقول الحق و الصدع به عند المغاربة، مع التخلي بالأخلاق الفاضلة، وعدم الخوض فيما لا شأن لهم به، ما جعلهم في مصاف الطبقة المميزة في المجتمع المصري، وسلطين المماليك<sup>3</sup>.

### 3- مكانتهم عند عامة أهل مصر

عُرف على أهل مصر توقير العلم والعلماء، فنال علماء المغاربة ومن صاحبهم من أهل الغرب الإسلامي هذا الحب والتقدير والاحترام، فعبر المجتمع المصري على ذلك بحضور دروسهم وحلقات علمهم، ومساعدة المحتاجين منهم.

ومن هذه المواقف أن سكان مدينة قنا المصرية استقبلوا الفقيه إبراهيم ابن علي ابن عبد الغفار ابن أبي الدنيا الأندلسي ( ت 656 هـ / 1258 م )، وبنوا له راباطا، ففضّل الإقامة بينهم وتزوج وأنجب وتوفي بقنا، وأصبح ضريحه مزارا يتبرك به أهل قنا لعظيم مكانته عندهم<sup>4</sup>.

وما لقيه الفقيه أبو علي عمر بن عبد المحسن البجائي عندما كان في طريقه للحج منتصف القرن 7 هـ / 14 م من أهل مصر، بإطعامه الطعام طيلة مكوثه بينهم، ما جعله يتعجب ويفرح بذلك، مع ما كان من تقديرهم له وقوة ترحابهم به<sup>5</sup>.

ومن صور مكانة المغاربة لدى عامة أهل مصر، أنّ المصريين قاموا بإيواء المغاربة في سكنهم وبيوتهم، من ذلك قيام شمس الدين محمد القيصوني المصري القاهري ( ت 931 هـ / 1524 م )، الذي يعدّ من أعيان القاهرة، فتح بيته لإيواء علماء و زهاد المغاربة نزلاء القاهرة، من مثل الفقيه المغاربي شهاب الدين محمد ابن شقير التونسي المالكي ( ت 909 هـ / 1504 م )، والزاهد عمر البجائي ( ت 919 هـ / 1513 م ) وغيرهما<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> -صلاح حسن محمد، مرجع سابق، ص 192 .

<sup>2</sup> - السخاوي، مصدر سابق، ج 8، ص 256 .

<sup>3</sup> - صلاح حسن محمد، المرجع السابق، ص 195.

<sup>4</sup> - نفسه، ص 195.

<sup>5</sup> - الغبريني، مصدر سابق، ص 200-201 .

<sup>6</sup> - الغزوي، مصدر سابق، ج 1، ص 95.

وأبلغ تعبير عن حُب وتقدير المصريين للمغاربة ومكانتهم عندهم، الاهتمام بالمجاورين بالأزهر الشريف المقيمين برواق المغاربة الذي به طلبه العلم من أهل الغرب الإسلامي، فيقوم الميسورين من أهل مصر وتجارتها بالإنفاق عليهم وخاصة في المناسبات والأعياد، بالطعام والخبز والحلوى والسكر والصابون، فضلا عن الأوقاف التي أُجريت عليهم، فقد أوصى التاجر المصري يعقوب البرلسي ( ت 773 هـ/1479 م)، بجزء من ماله للمغاربة المجاورين بالأزهر الشريف.<sup>1</sup>

أما خارج المدن و الحواضر فقد حَضِيَّت قبيلة هواره البربرية بمكانة جعلتها صاحبة الكلمة العليا بجرجا والصعيد، ودامت حتى عصر العثمانيين، وهذا دليل على المكانة الاجتماعية لعناصر هذه القبيلة لدى عامة أهل مصر.<sup>2</sup>

#### 4- مشيخة المغاربة بمصر خلال عصر المماليك

حظي المغاربة بمصر خلال فترة البحث بامتيازات لم تكن لغيرهم من الوافدين، من تخصيص أماكن لاستقرارهم كالحارات والأروقة، فضلا عن المدارس والزوايا التي خصصت لهم، بالإضافة للأوقاف التي أُجريت عليهم، وهذا راجع للمكانة الاجتماعية التي أعطوها من مختلف طبقات المجتمع المصري، وما زاد هذا التمييز تخصيص قاضي قضاة المالكية لا يتولاه إلا المغاربة، وكذا منصب شيخ المغاربة، ومشيخة المغاربة هي وظيفة ادارية الهدف منها تنظيم حياة المغاربة وتسيير أوقافهم.<sup>3</sup>

ظهرت مشيخة المغاربة بالشام خلال العهد الأيوبي، لتظهر بعدها بمصر خلال عصر سلاطين المماليك أواخر القرن الثامن الهجري، الخامس عشر ميلادي، وكانت طريقة الاختيار بيد المغاربة أنفسهم يعينون من يرونه أهلاً لذلك وهذا في العصر الأيوبي، ليتغير الأمر خلال فترة الدراسة فيكون التعيين من السلطان دون اهمال استشارة المغاربة في ذلك، وكانت تجتمع في منصب شيخ المغاربة عدة مهام وسلطات كحفظ أمن المغاربة المقيمين وتوزيع الأعطيات والرواتب، وأخذ حقهم، بالإضافة للتدريس وإمامة الصلاة، ومهاما اجتماعية أخرى؛ فكان حامي الأرامل واليتامى، مراعي لحقوقهم، ووكيلا عليهم، كما كان مسؤولا و قائما على الأوقاف الخيرية داخل الحي أو الحارة، فهو همزة الوصل الرئيسية بين المغاربة والسلطة المملوكية، فمن أعماله وتدخلاته، أي شيخ المغاربة تذكر المصادر في أواخر العهد المملوكي كانت طابونة لصناعة الخبز بحى طولون، الذي يسكنه المغاربة، وكانت لهذه الطابونة مدخنة تضر الساكنة

<sup>1</sup> - السخاوي، مصدر سابق، ج10، ص 275-286.

<sup>2</sup> - الفلقشندي، مصدر سابق، ج 4، ص 71.

<sup>3</sup> - ناهد قربي عبد الحميد، مشيخة المغاربة في مصر و بلاد الشام خلال عصري الأيوبيين و المماليك (589 - 923 هـ/ 1193 - 1517 م)، مجلة كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ع 153، جانفي 2025، ص 751.

من الحي ومن جاورهم، فاشتكوا لشيخ المغاربة فتدخل لدى القاضي، فأمر القاضي بإغلاق الطابونة ونقلها لمكان آخر<sup>1</sup>.

إن هذا الهيكل التنظيمي لإدارة شؤون المغاربة، قائما إما على أساس طائفي مجتمعي نظرا لمكوّن المجتمع المصري حينها، فكل فئة تشتغل بعمل واحد مشترك سواء تجاريا أو مهنيا، فهم يشكلون جماعة خاصة بهم، لهم تنظيمهم ومطالبهم الخاصة، فيختارون شيخا يمثلهم ويتحدث باسمهم لدى السلطة المملوكية، ويكون لهذا الشيخ من ينوبه ويسمى: وكيلًا، وإما متعلقا بالأحياء والأسواق والأماكن أي ارتباطا عضويا، كشيخ المغاربة بسوق طولون، وشيخ رواق المغاربة بالأزهر الشريف<sup>2</sup>. وممن تولى هذا المنصب أبو العباس احمد بن محمد شهاب الدين المغربي القسنطيني (ت 918هـ/1513م) بالقاهرة، كان متصدرا رواق المغاربة بالجامع الأزهر<sup>3</sup>. ومن نفوذ كلمة شيخ المغاربة ما أمر به شيخ المغاربة شمس الدين محمد الركراكي (ت 794هـ/1392م) من القبض على أميرين من المماليك واحضارهما لزاويته بالقاهرة سنة (793هـ/1391م)<sup>4</sup>.

من خلال ما سبق يتبين مدى المكانة التي حظي بها المغاربة وكثرة عددهم حتى احتاجت الدولة لمن يمثلهم ويقوم على أمورهم.

<sup>1</sup> - حسام محمد عبد المعطي، العائلة و الثروة البيوتات التجارية المغربية في مصر العثمانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، القاهرة، 2008، ص 320.

<sup>2</sup> - عبد الرحيم عبد الرحمان عبد الرحيم، مرجع سابق، ص 51.

<sup>3</sup> - ناهد قرني عبد الحميد، مرجع سابق، ص 751.

<sup>4</sup> - المقرئزي، السلوك، مصدر سابق، ج3 ص 739.

الخاتمة

إنّ الحياة الاجتماعية من الدراسات الحديثة لدى الباحثين، وبدونها تبقى صفحات من التاريخ غير مفهومة لأنّ مختلف جوانب الحياة لمجتمع ما متبادلة التأثير، فأغفال جانب منها تبقى غامضة ويتعدّر فهمها، لذلك خلص بحثنا إلى مجموعة من النتائج نوردتها في النقاط التالية :

- إنّ عوامل توافد المغاربة على مصر المملوكية لم تكن موجودة بشكل مستقل في جهة دون أخرى، بل تبين أنّ هذه العوامل كانت موجودة على الجهتين مع اختلاف في قيمتها كعوامل ايجابية، مشجعة، مستقطبة، جاذبة على مستوى بلاد مصر، وعوامل سلبية، قاهرة، طاردة على مستوى بلاد الغرب الإسلامي.
- ضمّ المغاربة الوافدين على مصر المملوكية شرائح وفتحات مختلفة ؛ علماء وقضاة إداريين، وتجار، وأصحاب الحرف والمهن، إضافة للزهاد والصوفية، اندمجوا مع السكان الأصليين وتمتعوا بحقوقهم ومارسوا عاداتهم وتقاليدهم المتعارف عليها بحرية.
- مثّلت فئة العلماء والفقهاء الفئة الأكثر حضوراً، نظراً لاهتمام أهل الغرب الإسلامي بالعلم وتحصيله، وأنها بلاد العلم والعلماء.
- إسناد مهمة القضاء والإفتاء على المذهب المالكي للمغاربة، وهذا دليل على أن لهم سبق واليد الطولى في المذهب المالكي، رغم وجود مالكية من علماء أهل مصر .
- توزّع المغاربة على أكثر مدن مصر وحواضرها، وكانت القاهرة والإسكندرية النصيب الأوفر لما تمثّله الأولى من مركز للسلطة والإمارة، والثانية من عاصمة للتجارة والاقتصاد .
- كما كانت الإفادة على مصر انفرادية من طرف العلماء كانت كذلك جماعية متمثلة في ركب الحجيج، وقبيلية من طرف القبائل (قبيلة هواة) .
- تفاعل المغاربة مع الحياة العامة بمصر، ولم ينغلقوا على أنفسهم فكان منهم العالم و المفتي و صاحب الخطط، كما شاركوا في ازدهار اقتصاد مصر من خلال التجارة وممارسة مختلف المهن والحرف والصناعات .
- تميز المغاربة بمظاهر اجتماعية مختلفة ومتنوعة من عادات وتقاليد في الزواج وتناول أصناف من الأطعمة والأشربة كما اختصوا بملابس عُرفت بلبس المغاربة .

- تأثير العمل الخلقى المغاربي في المجتمع المصري ، بدليل تبني المصريين لطرق صوفية تابعة للمغاربة مثل الشاذلية، وإلى يوم الناس هذا.
- تمتع المغاربة بمكانة اجتماعية، كانت في كثير من الأحيان خاصة بهم دون غيرهم، لما تميزوا به من الثقة و الأمانة، و العلم و الأخلاق.
- أنّ الأوضاع الاجتماعية للشعوب بطيئة التغير إذا ما قُرنت بالسياسية و الإقتصادية، فكثير من عاداتنا و تقاليدنا اليوم لها جذور لأسلافنا المغاربة منذ الفترة الوسيطة .
- إنّ الوحدة العربية الإسلامية متجذرة ومتأصلة بين أقطار العالم العربي والإسلامي ، وما تنقل المغاربة ودخولهم مصر وباقي أقطار المشرق الإسلامي، والإقامة والعمل فيها دون إذن أو تصريح إلا دليل ذلك، وهو ما نفتقر إليه اليوم.

# الملاحق

## الملحق رقم 1: سلاطين المماليك المماليك البحرية و مدة حكمهم

التاريخ الميلادي	التاريخ الهجري	أسماء السلاطين
1250	648	المعز لدين الله ايبك
1257	655	المنصور نور الدين علي بن المعز
1259	657	المظفر سيف الدين قطز
1260	658	الظاهر ركن الدين بيبرس
1277	676	السعيد ناصر الدين محمد بركة خان بن بيبرس
1279	678	العادل بدر الدين سلامش بن بيبرس
1279	679	المنصور سيف الدين قلاوون
1290	689	الاشرف صلاح الدين خليل بن قلاوون
1292	693	الناصر ناصر الدين محمد بن قلاوون
1294	694	العادل زين الدين كتبغا
1296	696	المنصور حسام الدين لاجين
1298	698	الناصر ناصر الدين محمد بن قلاوون (سلطنته الثانية)
1308	708	المظفر ركن الدين بيبرس (الثاني) الجاشنكير
1309	709	الناصر ناصر محمد بن قلاوون (سلطنته الثالثة)
1341	741	المنصور سيف الدين أبوبكر بن الناصر محمد
1342	742	الاشرف علاء الدين كجك بن الناصر محمد

1342	742	الناصر شهاب الدين احمد بن الناصر محمد
1342	743	الصالح عماد الن ناصر الدين إسماعيل بن محمد
1345	746	الكامل سيف الدين شعبان بن الناصر محمد
1346	747	المظفر زين الدين حلجي بن الناصر محمد
1354	754	الناصر ناصرالدين بدر الدين الحسن بن الناصر ( السلطنة الثانية)
1361	9 جمادى الآخر 761	المنصور صلاح الدين محمد بن سيف الدين حاجي بن الناصر محمد
1376	15 شعبان 778	الاشرف ناصر الدين شعبان بن حسن الناصر محمد
1376	778	المنصور علاء الدين علي بن شعبان بن حسين بن الناصر بن محمد
1376	783	الصالح صلاح الدين زين الدين شعبان بن حسين بن الناصر بن محمد

بالاعراج عبد الرحمان :مرجع سابق، ص-ص314-315.

## الملحق: 2 سلاطين المماليك البرجية / الجراكسة و مدة حكمه

التاريخ الميلادي	التاريخ الهجري	أسماء السلاطين
1382	784	الظاهر سيف الدين برقوق
1388	791	الصالح حلجي شعبان (سلطنته الثانية)
1389	792	الظاهر سيف الدين برقوق (سلطنته الثانية)
1398	801	الناصر ناصر الدين ابو السادات فرج
1405	26 ربيع الاول 808	المنصور عزيز علي
1405	5 جمادى الاخر 808	الناصر ناصر الدين فرج (سلطنته الثانية)
1412	15 شوال 815	الخليفة العادل المستعين بالله العباسي
1412	20 جمادى 815	المالك أبو النصر شيخ الحمودي
1421	ذو الحجة 824	المظفر ناصر الدين محمد بن ططر
1421	825	الأشرف سيف الدين برسباي
1438	841	العزیز جمال الدين يوسف بن برسباي

1438	842	الظاهر سيف الدين جمقمق
1453	11 محرم 857	المنصور فخر الدين عثمان بن جمقمق
1453	13 ربيع الأول 857	الأشرف سيف الدين إينال
1461	14 جمادى الأولى 865	المؤيد شهاب الدين أحمد بن إينال
1461	19 رمضان 865	الظاهر سيف الدين خقشدم
1467	4 ربيع الأول 872	الظاهر سيف الدين بلباي
1467	جمادى الأولى 872	الظاهر تمرغا
1467	رجب 872	الأشرف سيف الدين قايتباي
1495	901	الناصر محمد بن قايتباي
1498	904	الظاهر قانصوهاالأشرفي
1499	905	الاشرف جان بلاط
1500	جمادى الآخر 906	الأشرف طومان باي قانصوهاالأشرفي
1500	شوال 906	الأشرف قانصوه الغوري
1517	923	الاشرف طومان باي الثاني

بالاعراج عبد الرحمان :مرجع سابق، ص-ص 316-317.

## قائمة المصادر و المراجع

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم

قائمة المصادر:

1. ابن أبي اصيبعة أبو العباس أحمد ابن القاسم (ت 668 هـ)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تح: نزار رضاء، مكتب دار الحياة، د.ط، بيروت، د.س.
2. الاصطخري أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي، المعروف بالكرخي (ت 346 هـ)، المسالك و الممالك، طبعة لندن بريل، دار صادر، د.ط، بيروت 1870.
3. ابن اياس محمد بن احمد الحنفي (930 هـ / 1523 م)، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تح: محمد مصطفى، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، ط1 بيروت، لبنان، 1975.
4. ابن بطوطة أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت 779 هـ)، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، أكاديمية المملكة المغربية، د.ط، الرباط، 1997.
5. البلوي أبو البقاء خالد بن عيسى (ت بعد 767 هـ)، تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، د.د.ن، د.ط. د.ب، د.س.
6. ابن تغري أبو المحاسن جمال الدين بردي يوسف الاتابكي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر و القاهرة، ج3، الهيئة المصرية العامة للتأليف و النشر، د.ط، مصر، 1970.
7. التنبكتي أحمد بابا أبو العباس (ت 1036 هـ)، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تح علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، مصر 2004.
8. ابن الجبير أبي الحسن محمد بن أحمد ، رسالة اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك رحلة ابن جبير ، دار مكتبة الهلال، د.ط ، بيروت ، لبنان ، د.ت.
9. ابن حجر العسقلاني أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي (ت 852 هـ) ، إنباء الغمر بأخبار العمر ، تح: حسن حبشي ، د.د.ن ، د.ط ، القاهرة ، 1969.
10. \_\_\_\_\_، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، دائرة المعارف العثمانية بجيدر آباد الدكن ط2، الهند، 1972.

- 11 ابن حوقل أبو القاسم محمد البغدادي الموصلبي، (ت بعد 367هـ)، صورة الأرض، دار صادر، د.ط . بيروت، 1938.
- 12 الخطيب لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت 776هـ) ، الإحاطة في أخبار غرناطة، تح: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، د.ط، القاهرة، 1975.
- 13 ابن خلدون عبد الرحمن (ت 808 هـ)، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب و العجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تح: سهيل زاكار، دار الفكر، ط1، بيروت، 1981.
- 14 الدوادار المصري ركن الدين بيبرس المنصوري الناصري الخطائي الأمير (ت725هـ)، زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، تح: زبيدة محمد عطا، عين للدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية، القاهرة، 2001.
- 15 الذهبي محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748 هـ)، تاريخ الإسلام و وفيات المشاهير والأعلام، تح: عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط 1،، بيروت، 2003.
- 16 رجب عبد الجواد إبراهيم، المعجم العربي لأسماء الملابس، دار الآفاق العربية، ، ط، 1 القاهرة،، 2002.
- 17 الزبيدي محمد مرتضى الحسيني ، تاج العروس من جواهر القاموس، وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، 2001.
- 18 السنخاوي شمس الدين بن عبد الرحمان (ت 902هـ/1496 م)، الضو اللامع لأهل القرن التاسع ، دار الجبل ، بيروت ، 1992
- 19 ابن سعيد المغربي بن موسى الحسن علي (ت 685هـ) الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة ، تح : ابراهيم الاياري ، دار المعارف د.ط ، مصر د.س.
- 20 السيوطي عبد الرحمان بن أبي بكر جلال الدين ، حسن المحاضرة في تاريخ مصر و القاهرة، تح: محمد أبو فضل إبراهيم، دار إحياء الكتب، ط1، مصر، 1967.
- 21 \_\_\_\_\_ ، بغية الوعاة، تح: حمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، د.ط ، لبنان، 1998.

- 22 الشوكاني محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني (ت 1250هـ)، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار المعرفة، د.ط، بيروت، د.ت.
- 23 الصفدي صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (ت 764هـ) الوافي بالوفيات، دار إحياء التراث، د.ط، بيروت، 2000.
- 24 الطبري محمد بن جرير (ت: 310 هـ)، جامع البيان عن تأويل القرآن، تو: صدقي جميل العطار، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 1995
- 25 عبد الملك العصامي عبد الملك بن حسين بن ، (ت 1049 هـ/1639م)، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل و التوالي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1998.
- 26 العبدري محمد البلنسي، رحلة المغربية، مؤسسة بونة للبحوث والدراسات، ط1، عنابة، الجزائر، 2007.
- 27 ابن عذارى أبو العباس احمد بلن محمد المراكشي ( كان حيا سنة 712 هـ) البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، تح: ليفي بروفنيال، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1983.
- 28 ابن عماد الحنبلي أبو الفلاح عبد الحي بن احمد بن محمد (1089 هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: محمود الارناؤوط، دار ابن كثير، ط1 دمشق، بيروت، 1986.
- 29 العمري ابن فضل ابو العباس شهاب الدين الله: احمد بن يحيى (ت 749 هـ/1349 م )، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح: محمد عبد القادر خريسان و آخرون، مركز زايد للتراث، د.ط، د.س.
- 30 العيني بدر الدين محمود (ت 855 هـ)، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تح: محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، القاهرة، 1995.
- 31 الغبريني أبو العباس أحمد بن أحمد (ت 714)، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببحاية، منشورات دار الآفاق الجديدة، ط2، بيروت، 1979.
- 32 الغزي نجم الدين محمد بن محمد (ت 1061 هـ)، الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان.
- 33 ابن فرحون إبراهيم بن محمد المالكي (ت 799 هـ)، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، تح: محمد الأحمد أبو النور، دار التراث، د ط، القاهرة، 1972.

- 34 الفيرزو أبادي محمد بن يعقوب ( ت: 817 هـ)، القاموس المحيط، تح: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط8، د.ب، 2005.
- 35 ابن القاضي أبو العباس أحمد بن محمد (ت1025هـ)، درة الحجال في غرة أسماء الرجال تح: مصطفى عبد القادر، دار الكتب العلمية، د.ط، بيروت، 2002.
- 36 القفطي أبو الحسن جمال الدين علي بن يوسف بن إبراهيم الشيباني ، ( ت 646 هـ). تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت لبنان، 2005.
- 37 -القلقشندي أبو العباس أحمد ( ت 821 هـ/1418 م)، صبح الأعشى في صناعة الانشاء، دار الكتب المصرية، ط1 القاهرة، د.ت.
- 38 ابن كثير أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي (701 - 774 هـ)، البداية و النهاية، مكتبة الصفاء، دار البيان الحديثة، ط1، القاهرة، 2003.
- 39 مجهول ( ت ق 6هـ)، الاستبصار في عجائب الأمصار، دار الشؤون الثقافية، د.ط، بغداد، 1986.
- 40 مخلوف محمد بن محمد بن محمد بن قاسم ، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 2003.
- 41 المقدسي محمد ابن أحمد ( 356 هـ)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولي للنشر، ط3، القاهرة، مصر، 1991.
- 42 المقري شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني ( ت 1041 هـ) ، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، دار صادر، ط1، بيروت، لبنان، 1997.
- 43 المقرئ أبو العباس تقي الدين أحمد بن علي ( ت 845 هـ)، المقفى الكبير، تح: محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، لبنان، 2006.
- 44 \_\_\_\_\_، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقرئية، تح: مديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي، ط1، القاهرة، 1997.

- 45 \_\_\_\_\_، السلوك لمعرفة دول الملوك، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، 1997
- 46 ابن منظور محمد بن مكرم الافريقي (ت 711هـ)، لسان العرب، دار الصادر، د.ط، بيروت، 2010.
- 47 -النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد القرشي التيمي البكري (ت 733هـ)، نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، ط2، القاهرة، 2003.
- 48 الونشريسي أبو العباس احمد بن يحيى ، أسنى المتاجر في بيان أحكام من تغلب على وطنه النصارى ولم يهاجر، وما يترتب عليه من العقوبات و الزواج، تح: محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.
- 49 الوهراني عبد الله محمد بن محرز، منامات الوهراني و مقاماته و رسائله، تح: ابراهيم شعلان، دار الكاتب العربي، د.ط، مصر، 1968.
- 50 ياقوت الحموي شهاب الدين أبو عبد الله (ت 626هـ)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط2، 1995م

#### المراجع:

1. أبو لبابة حسين ، موقف متصوفة المغرب و زهادها من الاحتلال العبيدي، دار اللواء للنشر و التوزيع، الرياض، 1979
2. الأبياري ابراهيم ، نضرات في التاريخ الإسلامي، دار الكتاب المصري، د.ط، القاهرة، 1987.
3. أحمد حسن بركة ، المغاربة و الأندلسيين في بلاد الشام في العصر المملوكي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1 القاهرة، 2023.
4. أحمد علي ، الأندلسيين و المغاربة في بلاد الشام، من نهاية القرن الخامس و حتى نهاية القرن التاسع هجري، دار طلاس للدراسات و الترجمة و النشر، ط1، دمشق، 1969.
5. \_\_\_\_\_، الدور الفكري للأندلسيين و المغاربة في المشرق الإسلامي ( ق 5 - 9 هـ/ق 11 - 15 م) دار شمال، ط1، دمشق، 1995.

6. —، مساهمات الأندلسيين و المغاربة في الحروب الصليبية في مصر و الشام،مجلة التراث العربي،دمشق،1967.
7. بلقزيز محمد بن عبد الجليل، حضارة و ثقافة عبر أطعمة و أشربة بطريقة التأثيل، ، مطبعة الدار الجديدة، ط1، الدار البيضاء، 2010.
8. البهجي ايناس حسني، دولة المماليك البداية و النهاية، دار التعليم الجامعي، ط1، الإسكندرية، 2015.
9. جمال الدين عبد الله محمد ، الدولة الفاطمية قيامها ببلاد المغرب و انتقالها لمصر إلى نهاية القرن 4 هـ، دار الثقافة، ط1، 1991.
10. حماد فايد محمد عاشور ، الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين والمغول في العصر المملوكي، جروس برس، ط1، طرابلس، لبنان، 1995.
11. زعرور ابراهيم ، القضاة الأندلسيون و المغاربة في بلاد الشام في عصر المماليك، مجلة دراسات تاريخية، جامعة دمشق، ع 54-53، 1995 .
12. سعيد عبد الفتاح عاشور ، العصر المماليكي بمصر والشام،، دار النهضة العربية، ط2 القاهرة، مصر، 1976.
13. ————— ، المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، دار النهضة العربية، د.ط، القاهرة، 1992.
14. —————، مصر و الشام في عصر الأيوبيين و المماليك، دار النهضة العربية، ط1، بيروت، 1972.
15. سلمان خالدة ، شوكت عارف محمد الاتروشي، التركيبة الاثنية للمجتمع المصري خلال العصر الأيوبي، مجلة جامعة زاخو، د.ب، ع 1، مج 1، 2013.
16. السيد محمود ، تاريخ القبائل العربية في عصر الدولتين الأيوبية و المملوكية، مؤسسة شباب الجامعة، ط1، الإسكندرية ، 1998.

- 17 الطالبي محمد ، دائرة المعارف التونسية، مادة المغاربة، بيت الحكمة قرطاج، تونس،1994.
- 18 العبادي أحمد مختار ، تاريخ المغرب و الأندلس، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، ط1، بيروت، د.س.
- 19 \_\_\_\_\_، قيام دولة المماليك الأولى في مصر و الشام، دار النهضة العربية، ط1، بيروت 1986.
- 20 عبد الرحمان عبد الرحيم عبد الرحيم، المغاربة في مصر خلال العهد العثماني ( 1517-1798 م )، المجلة التاريخية المغربية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، تونس، د.ط ، 1982.
- 21 عبد القوي شوقي عثمان حبيب، التجارة بين مصر و إفريقيا في عصر سلاطين المماليك ( 648 هـ - 922 هـ / 1250م - 1517 م )، المجلس العلمي للثقافة، القاهرة، 2000.
- 22 عبد الله محمد عنان ، نهاية الأندلس و تاريخ العرب المنتصرين .، مكتبة الخانجي، ط4، القاهرة، 1998.
- 23 \_\_\_\_\_، عصر المرابطين و الموحدين في المغرب الأندلس، مكتبة الخانجي، ط1، القاهرة، 1964.
- 24 عبده قاسم قاسم، عصر سلاطين المماليك التاريخي السياسي و الاجتماعي، عين للدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية، د ب، 2012.
- 25 \_\_\_\_\_، عصر سلاطين المماليك،، دار الشروق، ط1، القاهرة، 1994.
- 26 القوصي، عطية ، موسوعة الثقافة التاريخية والأثرية والحضارية التاريخ الإسلامي، التطور التاريخي للدولة الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة.
- 27 لقبال موسى ، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس هجري، الشركة الوطنية لنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 1979.
- 28 محمد حسام عبد المعطي، المغاربة في مصر خلال القرن 18م، مطبعة الاسكندرية، ط1، مصر، 2015.

29 \_\_\_\_\_، العائلة و الثروة البيوتات التجارية المغربية في مصر العثمانية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، القاهرة ، 2008.

30 محمد مصطفى زيادة، حملة لويس التاسع على مصر وهزيمته في المنصورة، د.د.ن، د.ط، القاهرة، 1961.

31 وليم اليسر موير، تاريخ دولة المماليك في مصر، تح: محمود عابدين، وآخرون، مكتبة مادبولي، ط1، القاهرة 1995،.

### الرسائل و المذكرات:

1-بالاعرج عبد الرحمان، العلاقات الثقافية بين دولة بني زيان والمماليك، إشر الدكتور: مبحوت بودواية، مذكرة ماجستير، كلية الآداب و العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2008/2007.

2-طراونة مبارك ، الحياة الاجتماعية في بلاد الشام عهد المماليك الجراكسة، دار جليس الزمان، ط1 ، عمان، 2010.

3-عيفة الحاج ،إسهامات المغاربة والأندلسيين في مصر والشام بداية من السادس إلى القرن السابع الهجري، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراة في التاريخ الوسيط، إشر: عبد الحميد الحاجيات، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2009 – 2010.

4-بن خيرة أحمد ، دور المغاربة والأندلسيين في الحروب الصليبية ما بين القرن الخامس والتسع الهجري، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، تخصص مغرب وحضارته، إشر: شريف أحمد، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2010-2011.

5-العكبي رشا فاضل كاضم ، الحياة الاجتماعية لمصر في عصر المماليك، مذكرة ماجستير في التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ، جامعة الكوفة، 2014.

6-العامودي حياة عبود ، النشاط الاقتصادي للمغاربة و الأندلسيين بمصر في العصر المملوكي (648هـ-923 هـ / 1250 م – 1517 م )، جامعة الأميرة نورة، كلية الآداب، قسم التاريخ و الآثار، السعودية، د.ت

7-منصورية عاشور ، المغاربة في البلاد المصرية ( ق 4-9 هـ / 10-15 م )، مذكرة دكتوراه في التاريخ الإسلامي، اش: علاوة عمارة، قسم التاريخ و علم الآثار، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة باتنة 1، 2019/2018.

#### المجلات و الدوريات :

1. بصديق عبد الكريم ، اللباس الرجالي بالمغرب الأوسط في العصر الوسيط، مجلة انثروبولوجيا، مج 7، ع 1، جامعة باتنة، 2021.
2. الجحمة نواف عبد العزيز ، صورة الغرباء المغاربة في مصر و الشام عصر الحروب الصليبية، مجلة دعوة الحق، ع 40، جامعة دمشق، سوريا، 2011.
3. الجويني نجة ، هجرة العلماء المغاربة للمجال المملوكي و دورها في تطور الحياة الفكرية من خلال كتب الوثائق المملوكية، مجلة قبس للدراسات الاجتماعية و الإنسانية، مج 3، ع 01، جوان. 2019
4. حسن صلاح محمد، المكانة الاجتماعية للمغاربة في مصر في العصر المملوكي، مجلة كلية التربية ، جامعة واسط، ع 41 ، ج 4 ، 2020.
5. حسون أكرم صباح ، أحوال مصر الاجتماعية في دولة المماليك البحرية ( 648 – 784 هـ / 1250 – 1382 م )، مذكرة ماجستير في التاريخ الإسلامي، كلية الآداب للدراسات العليا، جامعة بغداد، 2014.
6. حمزة ، إسهامات المماليك في الحركة العلمية ودورهم الاجتماعي في المشرق العربي 648هـ - 923هـ / 1249-1517م، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، ع 16، جامعة الوادي، جوان 2016.
7. خديجة بورملة ، بوباية عبد القادر ، العلاقات التجارية البحرية للمغرب الأوسط مع مصر من منتصف القرن الخامس الهجري إلى أواخر العصر الوسيط، مجلة عصور ، جامعة وهران، ع 36، 2017.

8. سامي علي النشار، أبو الحسن الششتري الأندلسي، الرجال وأثره في العالم الإسلامي، مجلة المعهد المصري للدراسات الأندلسية، ع1، 1953.
9. السلاوي سماح ، المغاربة في مصر العصور الوسطى، مجلة المقتطف المصري التاريخية، ع5، جوان 2010.
10. الطبائي بلقاسم، السقاؤون في القاهرة ( 648 هـ - 923 هـ / 1250م - 1517م ) ، د.د.ن،د.ط، القاهرة ، 2009.
11. قرني ناهد عبد الحميد، مشيخة المغاربة في مصر و بلاد الشام خلال عصري الأيوبيين و المماليك (589 - 923 هـ / 1193 - 1517 م )، مجلة كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة، ع 153، جانفي 2025.
12. لقبابي توفيق محمد ، جوانب من تاريخ رواق المغاربة بالأزهر الشريف خلال العهد العثماني بمصر ( 1517 - 1798 م)، مجلة ضفاف للعلوم الإنسانية، ، جامعة مراكش ، المغرب ، ع 5، 2020.

## فهرس المحتويات

قائمة المحتويات

الصفحة	الموضوع
	الإهداء
	الشكر
	قائمة المختصرات
أ - و	المقدمة
17-8	مدخل تمهيدي :الدولة المملوكية بمصر (648-923 هـ/1250-1517 م)
8	المبحث الأول :التعريف بالمماليك
8	1- التعريف بالمماليك
9	2- أصولهم و لغتهم
10	3- المماليك في الدولة الإسلامية
11	المبحث الثاني :نشأة دولة المماليك
11	1- نهايات الدولة الأيوبية
13	2- قيام دولة المماليك
14	المبحث الثالث : دولتا المماليك
14	1- دولة المماليك البحرية
16	2- دولة المماليك البرجية
34-19	الفصل الأول:: المغاربة و أسباب تواجدهم بمصر المملوكية
19	المبحث الأول :ضبط مصطلح المغاربة في البحث
19	1- الغرب الإسلامي
20	2- المغاربة
22	المبحث الثاني :أسباب تواجدهم بمصر
22	1- أسباب متعلقة بالغرب الإسلامي
23	1-1 الاضطرابات و التبدلات السياسية
26	1-2 عوامل أخرى
27	2- أسباب متعلقة بمصر المملوكية

28	2-1- الأسباب الدينية
30	2-2- الأسباب السياسية
31	2-3- الأسباب الاقتصادية
33	2-4- الأسباب الفكرية و العلمية
54-36	الفصل الثاني: أصولهم و أماكن استقرارهم بمصر المملوكية
36	المبحث الأول : أماكن الاستقرار - التوزيع الجغرافي -
36	1- مجال الحواضر والمدن
36	1-1- القاهرة
37	1-2- الإسكندرية
39	1-3- مدن أخرى
39	2- خارج المجال الحضري
41	المبحث الثاني : أصولهم و ألقابهم
41	1- من افريقية
43	2- من المغرب الأوسط
46	3- من المغرب الأقصى
47	4- من الأندلس
50	المبحث الثالث: أنواع الإقامة
50	1- الإقامة الدائمة
52	2- الإقامة المؤقتة
80-56	الفصل الثالث: الحياة الاجتماعية للمغاربة بمصر المملوكية
56	المبحث الأول : طبقات و فئات المغاربة
56	1- طبقة العلماء و القضاة و الإداريين
58	2- طبقة التجار
60	3- طبقة الصناع ورجال الخدمة
62	4- الصوفية
66	المبحث الثاني : العادات و التقاليد
66	1- الزواج
67	2- المأكل و المشرب

70	3- اللباس
74	المبحث الثالث: المكانة الاجتماعية للمغاربة
74	1- عند السلاطين والأمراء
77	2- عند العلماء
78	3- عند عامة أهل مصر
79	4- مشيخة المغاربة بمصر المملوكية
82	الخاتمة
84	الملاحق
90	قائمة المصادر و المراجع
101	قائمة المحتويات

## ملخص البحث

تتناول هذه الدراسة الأوضاع الاجتماعية للمغاربة في مصر المملوكية (648 - 923 هـ / 1250 - 1517 م)، ويعتبر هذا الموضوع من المواضيع الجديدة والمهمة في التاريخ الاجتماعي للمغاربة خلال العصر الوسيط ، حيث تعرفنا على أهم أسباب وعوامل توافد المغاربة على مصر المملوكية ، كما تطرقنا لمواقع وأماكن استقرارهم وأشهر أصولهم وألقابهم وأنواع إقامتهم بمحلهم الجديد، ثم استعرضنا مظاهر حياتهم اليومية من خلال التعرف على فنائهم ووظائفهم، وزيجاتهم، وتنوع مآكلهم وملبسهم، وفي الأخير بيان مشيخة المغاربة، ومكانتهم في الوسط المصري .

الكلمات المفتاحية : الحياة الاجتماعية، المغاربة، مصر، العصر المماليكي، المكانة الاجتماعية.

### Summary:

This study deals with the social conditions of Almargariba in Mamluk Egypt (648 - 923 AH / 1250 - 1517 AD). This topic is considered one of the new and important topics in the social history of the Almargariba during the medieval period, where we learned about the most important reasons and factors for the influx of Almargariba to Mamluk Egypt, and we addressed the locations and places of their settlement, the most famous of their origins, their surnames and the types of their residence in their new place, then reviewed the aspects of their daily life by identifying their categories and jobs, their marriages, the diversity of their food and clothing, and finally the sheikhs of the Almargariba and their status in the Egyptian environment .

**Keywords:** Status social, Mamluk Egypt, Egypt ,Almargariba